

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان -

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

شعبة أنثروبولوجيا

قسم الثقافة الشعبية

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الثقافة الشعبية تخصص أنثروبولوجيا

1273 / ف 3

الموضوع:

# الجدر بمنطقة بريزينة

## دراسة أنثروبولوجية

الأستاذ المشرف:

إعداد الطالب:

أ. د. عبد الحميد حاجيات

عبد العزيز صعدلي

أعضاء لجنة المناقشة:

- |              |              |                      |                         |
|--------------|--------------|----------------------|-------------------------|
| رئيسا        | جامعة تلمسان | أستاذ التعليم العالي | أ. د. عكاشة شايف        |
| مشرفا ومقررا | جامعة تلمسان | أستاذ التعليم العالي | أ. د. عبد الحميد حاجيات |
| عضوا         | جامعة بلعباس | أستاذ التعليم العالي | أ. د. محمد مجاود        |
| عضوا         | جامعة تلمسان | أستاذ محاضر          | د. عبد الحق زريوح       |
| عضوا         | جامعة تلمسان | أستاذ محاضر          | د. الغوثي بستوسي        |



السنة الجامعية



قالت بنت الخص<sup>0</sup>:

سلموا (سلم) على ناس تلمسان  
وقل لهم ربيعهم هي مشتت~~هم~~ (?)  
يحضوا سمنهم وخليع~~هم~~

لا أدري إن كنت أول من ينقل هذه الرسالة إلى سكان  
تلمسان، غير أني متيقن بأنني انقلها الآن لقسم الثقافة الشعبية، أملا أن  
التغير المناخي لم يكذب الحكمة بنت الخص.

# الاهل والهوا

إلى نعم الأب..... أبي

إلى أساتذتي الكرام

إلى زوجتي الحبيبة وابنتي خيرة

إلى كل العائلة

الفهرست

# الفهرست

الإهداء

01..... الفهرس

04..... مقدمة :

06..... المدخل

الفصل الأول: الجدر قبور بربرية قديمة:

المبحث الأول: إصطلاح الجدر ومصدره:

12..... - المطلب الأول: الإصطلاح.

13..... - المطلب الثاني: وجود المصطلح بالمنطقة.

15..... - المطلب الثالث: مصدر الإصطلاح.

المبحث الثاني: المعالم الجزرية البربرية والعقائد المتعلقة بها:

18..... - المطلب الأول: المعالم الجزرية البربرية.

31..... - المطلب الثاني: العقائد المتعلقة بها.

المبحث الثالث: الإنتشار الجغرافي والتاريخي:

40..... - المطلب الأول: الإنتشار الجغرافي.

42..... - المطلب الثاني: الإنتشار التاريخي.

44..... المبحث الرابع: الإنتشار الثقافي.

45..... - المطلب الأول: الخلود و الخوف من الأموات.

48..... - المطلب الثاني: داخل القبر إمتداد كوني.

الفصل الثاني: جدر بريزينة بين الأسطورة والواقع:

المبحث الأول: النظرة الشعبية للجدر ونقدها :

59..... - المطلب الأول: الجدر و الأسطورة.

65..... - المطلب الثاني: موقع الجدر في الثقافة الشعبية المحلية.

المبحث الثاني: وصف الجدر وتوزعها ببريزينة:

71..... - المطلب الأول: وصف الجدر خارجيا.

- 75.....المطلب الثاني: وصف داخل الجدر.....
- 79.....المطلب الثالث: مكان تواجدها بمنطقة بريزينة.....
- 99.....الفصل الثالث: تأثير حضارة أصحاب الجدر على عادات وتقاليد المنطقة.....
- المبحث الأول: المقابر الخالية والجدر:
- 100.....المطلب الأول: تشابه الوظيفة والبناء.....
- 103.....المطلب الثاني: أواني وشقوق فوق القبور.....
- 107.....المطلب الثالث: المقامات والأضرحة:.....
- المبحث الثاني: عادات من الزمن الأول:
- 115.....المطلب الأول: رؤية المجتمع إلى الموت.....
- 117.....المطلب الثاني: الوعدة ببريزينة.....
- 121.....خاتمة.....
- 126.....قائمة المصادر والمراجع.....

المغزى

## مقدمة

شهدت الجزائر في بداية استقلالها اهتماما كبيرا بالبحوث الأثرية؛ فقد عقدت عدة اتفاقيات مع المعاهد الأوربية في هذا المجال، غير أن الظروف الإجتماعية والإقتصادية بداية من الثمانينات ومرورا بمرحلة الإرهاب في التسعينات؛ جعلت هذه البحوث تنتكس انتكاسة كبرى خصوصا الميدانية منها، كما أن الحديث عن طبيعة الأمة الجزائرية المنحصر بين تيارات إيديولوجية غلبت البعد الوافد، والتاريخ المجاور على الأصول الحقيقية لهذه الأمة؛ التي خلّفت من الآثار ما كان يعدّ من أعاجيب الدنيا لو أهتم به وعُني بدراسته الدراسة اللازمة.

حقيقة أنه لم يصلنا تاريخ مكتوب كباقي الحضارات، ولكن ميزة الحضارة موضوع بحثنا هي شواهدا غير المكتوبة ورموزها المنتشرة في كامل التراب الوطني، فبعيدا عما كتبه الآخرون عن شعوب المنطقة، لنا في قبورهم ورسوماتهم سجلا حافلا بالدلائل على ثقافة أصيلة لأمة عاشت هنا، يُنظر لها بعين الإستهتار والإحتقار، نظرة كرستها البحوث القديمة، والأساطير الباطلة، وغذاها الإستعمار حيناً والإيديولوجيات حيناً آخر، والأصل أن هذه الحضارة جزء لا يتجزأ من تاريخنا الزاخر ورافدٌ من روافد حضارتنا العظيمة وعبرةٌ للمعتبرين.

لقد لمسنا هذه النظرة المحتقرة بكل أبعادها بمنطقة بريزينة أين تتواجد المعالم موضوع بحثنا، بشكل لافت، حيث يشبُّ على وجودها الشباب ويشيخون دون أدنى معرفة صحيحة لهذه المعالم إلا ما تقدمه الخرافات والأساطير، فتخرج بذلك هذه المعالم عن ما يمكن أن تقدمه من تاريخ إلى



معالم أسطورية لا تبتّ إلى الواقع بصلة، وبالتالي يُعامل معها كما المظاهر الطبيعية... فلقبت بذلك هذه المعالم كلّ مظاهر الإستغلال واللامبالاة والإحتقار، لتصل إلى تسفيه أصحابها وإخراجهم عن دائرة الإنسانية ليدخلوا في عداد الغيلان والوحوش!

ولأنّ العنوان لا يقدّم رؤية واضحة عن الموضوع كونه مركبا من مجهولين، فإننا في بداية هذه المقدمة نسجل أن دراستنا تتعلّق بمعالم جزئية بربرية قديمة معروفة علميا باسم البازينات (Bazina) وتومولوس (Tumulus)، ولها اصطلاح محلي لدى سكان منطقة بيزينة ممثلا في (جُدُر أو جُدَارُ بُني عامِر) وبذلك يقع بحثنا بين الحقيقة العلمية والنظرة الشعبية، مستخدمين الإصطلاح المحلي (جُدُر ، جُدَارُ ، جمع: جُدُر) كما أننا سنستعمل صيغته الفصيحة (جدار، جمعها جدران وجُدُر) باحثين بداية عن البعد اللغوي والحضاري لهذا المصطلح، ولو بشيء من التعسف، مستأنسين بما قدمته الباحثة قادرية فاطمة خضرة عن جُدَارُ بمنطقة فرندة.

ولما كانت حقيقة الجدر العلمية قد تفررت بكونها مدافن للإنسان البربري القديم فقد كان من المفيد في بحثنا هذا جمع المعلومات حولها ومقارنة المعالم الموجودة بيزينة بنظيراتها الموجودة بكامل المغرب العربي إضافة إلى باقي أنحاء العالم، مع تسجيل أوجه التفرد والإختلاف في دراسة وصفية تسجل لعناصر ثقافية أكثر منها دراسة أركيولوجية، لذلك لا أدعي استخدام المنهج الأركيولوجي في هذه الدراسة، إلا بالقدر الذي يوحى إلى تمايز أو تماثل ثقافي، كما أنني ابتعدت عن التفاصيل التاريخية، ليظهر الموضوع في وحدة زمانية ثقافية في قالب ظاهراتي، يبحث عن التداخل والترابط الثقافي، وينسج ولو بخيوط رفيعة روابط ثقافية رفيعة! أساسها نظرية الإنتشار الثقافي عبر الزمان وعبر المكان.

وقد اعتمدت بالخصوص على الصور بوصفها لغة خاصة بهذا البحث، تُكَمِّلُ قِصْرَ جُمْلِهِ،  
 وتُحَمِّلُ طُولَ الْكَلَامِ والتعسف الظاهراتي في ليّ الشواهد بعضها على بعض، كما أنّها اختصرت  
 مجهودات قمت بها لأجل هذا البحث جعلتني دائم التنقل في صحاري بريزينة باحثاً عن تمييز لهذه  
 المعالم، مستكشفاً للكثير من الآثار الجديرة بالدراسة خصوصاً الرسومات الصخرية التي يظهر  
 الكثير منها بهذه الدراسة لأول مرة، كما أنني دخلت مع مجموعة من الشباب والمثقفين في حملات  
 دفاع عن (الجدول) ودورات سياحية تعريفية بهذه المعالم لأجل حمايتها والمحافظة عليها كتراث  
 عالمي وقد أقمنا لذلك جمعية خاصة لهذا الغرض وصل صوتها لكل المسؤولين من القمة إلى  
 القاعدة، كما أنني شاركت من خلال هذه الجمعية في عدّة صالونات سياحية وثقافية وطنية كان  
 الغرض منها التعريف بهذه المعالم والبحث عن مكان تواجدها عبر الوطن، ولأجل البحث عن  
 مثيلاتها والمراجع الخاصة بها كان لزاماً عليّ زيارة كل المتاحف الوطنية الرئيسية فبدأية من متحف  
 تبسة، فسيرتنا بقسنطينة فسطيف إلى متحف زبانة بوهران كلها للبحث عن دليل لهذه المعالم  
 ليتوسع الأمر إلى بحث عن ما كتب عن آثار منطقة بريزينة، لأجد في الأخير متحف البارديو  
 بالعاصمة وخصوصاً مكتبة مركز البحوث الأثرية والأنثروبولوجية المعروف اختصاراً  
 بـ(C.R.A.P) وما يملكه من وثائق رأيت من الواجب تعميمها على كل الجامعات لإثراء  
 البحث العلمي.

ومع أنّها لا تتطرق إلى المعالم الجزئية الموجودة ببريزينة إلا أنّها تبقى الوثائق الوحيدة التي

تساعد على بناء تصور مبدئي حول هذا الموضوع خصوصاً آراء S.GSELL و

M.REYGASSE وG.CAMPS الذين كانوا دعامة هذا الموضوع إضافة إلى كتاب



مُحدث لزابع لحسن المعنون بـ"أضرحة الملوك النوميذ والمور"، وفي مستوى آخر من الدراسة خصوصاً عند التعريف بالمنطقة وبني عامر فقد اضطرت المصادر الشحيحة لأجد كتب التاريخ خصوصاً ابن خلدون و ليون الإفريقي وكتب عن حكام تلمسان، يثبتون على الأقل وجود بني عامر بالمنطقة ولو تلميحاً، لنواصل الحديث عنهم من خلال مراجع أخرى اعتمدت الروايات الشفهية و أحاديث القصاص وأصحاب الرحلات تثبتنا لتواجد قبيلة بني عامر بالمنطقة وبخنا عن سبب نسبة المعالم الضاربة في أعماق التاريخ إليهم، كما الحال مع كتاب خليفة بن عمارة عن السيرة البوبكرية، ورحلة (G.M.B) Flamand من وهران إلى قورارة.

ثم كانت في طبقة ثالثة مصادر ومراجع عن عادات الشعوب في الموت وطقوسهم مع موتاهم، ومقارنتها، وتحليلها ضمن رؤية كونية اعتمدها بعض الدراسات التحليلية كما الحال مع كتاب رالف لتون "شجرة الحضارة"، و"جماليات المكان" لكاستون باشلار و"الموت" لإدغار موران.

وقد اعتمدت على شبكة الأنترنت بحثاً عن المعالم الجزرية الشبيهة بمعالنا لأجد البحث القيم والكامل عن معالم منطقة شمال النيجر الموسوم بـBANI والمعد من قبل فرانسوا باري وآخرين كما إستأنست بالآراء والتعليق الجوده بمجلة أركماني السودانية على الأنترنت دائماً، وقد استخدمت كذلك ضمن ما توفره الأنترنت من خلال برنامج GoogleEarth صوراً للمعالم الجزرية بمنطقة الكحل بيريذنة إضافة إلى تحديد مواقع تواجد الجدد.

وإذا كان الإشكال الرئيسي لهذه الدراسة هو البحث عن حقيقة الجدد بالنظر إلى الرواية الشعبية وتمحيصها، وإعطائها بعداً ثقافياً ضمن النظرية الوظيفية للثقافة، فإن الإشكال إرتقى إلى

البحث عن عناصر الإنتشار الثقافي وآثار هذا الإنتشار في ثقافة المجتمع الحالية، وهل هناك تواصل أو انقطاع مع ثقافة أصحاب الجدر؟

لنجد أنفسنا أمام فرضية أنه رغم دخول حضارات كثيرة على الحيز الجغرافي للجزائر ولمنطقة بريزينة كنموذج إلا أن عناصر من ثقافة أصحاب الجدر لازالت باقية. وفي المقابل نفي لهذه الفرضية مما يعني أن هذه الثقافة قد اندثرت بكل عناصرها وانمحت من الوجود.

مع ملاحظة أننا نتحدث عن عناصر متسللة من هذه الثقافة وليس عن حضارة متماسكة، لأننا في هذه الدراسة ننساق مع رأي الباحث الأنثروبولوجي رالف لتون في إسقاط مفهوم التضخم الحضاري على هذه الحضارة التي شكل الموت وما يلحق به عبئا ثقيلا على أفرادها بما إكتسبوه من ممارسات وطقوس، فتهاوت أمام أولى الضربات من حضارات أخرى؛ خصوصا الإسلامية لما لمسوه من سهولة ويسر في التعامل مع الموت، فحضارة أصحاب الجدر وما تقدمه هذه الأخيرة من جهد مستفرغ فيها يجعلنا ندرجها ضمن حضارات الموت التي مجدت الموت على حساب الحياة، بل واستهلكت جهد الأحياء في صناعة الراحة للأموات، فكان لهذه الحضارة أنموذجها المثالي (Type Ideal) هو الموت الذي دارت عليه كل عناصر الثقافة.

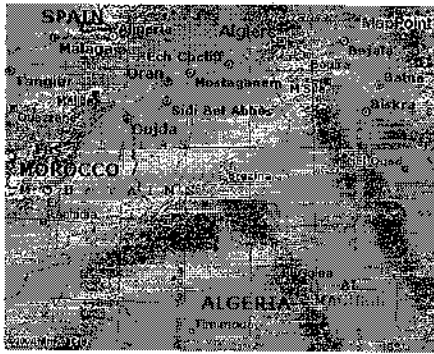
وقد كان البحث يفرض علينا الإنتقال من معرفتنا العامية للجدر إلى المعرفة العلمية كما يقول مايرسون، فنبداً بالمعالم من مكان تواجدها ببريزينة ورؤية المجتمع لها، ثم ننتقل إلى مثيلاتها بالجزائر فالمغرب العربي فالعالم، فالعقائد المرتبطة بها، ثم كونية هذا الإعتقاد كما كونية تواجدها وأخيرا في مبحث خاص حول العناصر المتسللة إلى ثقافتنا مما نعتقد أنه من ثقافة أصحاب الجدر؛ غير أنه ولطبيعة الموضوع وما كان يشكله من غموض حتى نهايته؛ فقد اعتمدنا الخطة الميينة أدناه،

نعرف بداية في مدخل بريزينة من خلال مصادر التثقيف والتعليم، وموقعها في الدراسات السابقة، ثم في الفصل الأول نتناول التسمية ومحاولة الكشف عن مصدرها ودلالاتها وإثبات استعمال المنطقة لهذا الاسم، ثم عن المعالم الجغرافية المتواجدة بالجزائر والعقائد المرتبطة بها، وأماكن انتشارها وتوزعها عبر العالم، وكونية العقائد المرتبطة بها، لنخصص الفصل الثاني لدراسة الجدري بمنطقة بريزينة من خلال مناقشتنا للنظرة الشعبية وأصلها والغرض الذي تؤديه، ثم تبيين الأنواع الموجودة من هذه المعالم ومكان تواجدها بمنطقة بريزينة، لنخلص في الأخير إلى فصل يحاول ربط ثقافتنا الحالية بما رأيناه من ثقافة أصحاب الجدري، ثم خاتمة سجلنا فيها نتائج البحث وما توصلنا إليه.

ولأجل طبيعة الموضوع فقد استخدمت فيه أسلوبا بسيطا تنوع خطابه بين رأيت ورأينا، اعتمدت واعتمدنا، والجزم بلعلّ وربما، فما بعد ما يفيد الظنّ أفكاري أعبر عنها بتلك الصيغة أو ما فهمته واستنتجته.

وفي الختام لقد كنت أصيبو منذ صغري لأكتب حول هذا الموضوع، فقد شدتني هذه المعالم كثيرا وأنا ألهو بحجارتها، ولما أتيت لي الكتابة حولها ازدادت تقريبا منها، فازدادت غموضا وبُعدا لأجدني في حاجة إلى معرفة أكثر وأكثر...!

البرهان



## المدخل:

## 1- التعريف ببريزينة

تقع بريزينة في الجنوب الشرقي لولاية البيض، جنوب سلسلة الأطلس الصحراوي، لها حدود مع ولايات

الأغواط، وغرداية، وأدرار، تتواجد بها الكثير من القصور القديمة وواحات النخيل، تعاقب ساكنوها عبر قرون لتستقر على خليط من العشاائر تحضروا بعد بداوة ولازال الكثير منهم على عاداته البدوية، أين عالمه خيمته وجماله...

دخلها الإحتلال الفرنسي سنة 1852 ليغادرها سنة 1962 مخلفا آلاما وجراحا ملحمتها مقاومة أولاد سيد الشيخ وثورة التحرير المظفرة والمحتشدات والأسلاك الشائكة والسجون، ودماء الشهداء.

قبل الإستقلال عاش أهلها على الفلاحة والرعي والتنقل بين إقليم توات والتل الغربي مستبدلين القمح بالشعير، فكانوا يُعتون بأنهم "عاشوا بين الحُمسات" أين كانوا يستبدلون في فواررة حملا من القمح بخمسة أحمال من التمر ولما يعودون إلى التل يستبدلون بحمل التمر خمسة أحمال من القمح.

لقد كان التعليم في منطقة بريزينة مقتصرًا على ما يلقنه "الطُّبَّه" \* الذين يدرِّسون بالمسجد بالنسبة لكل من بريزينة و بجوارها سيد الحاج الدين، أما البدو فكانوا (يُشارطوا \*\* الطُّبَّه)

\*.الطُّبَّه هم معلمو القرآن حيث لازمتهم حالتهم الأولى في طلب حفظ القرآن وطلب العلم.

القادمين خصوصاً من توات، فإضافة إلى تعليمهم الصغار القرآن الكريم كانوا يقومون بمداواة المرضى وبعض الأعمال التي تُطلب منهم لتدليل على حذقهم ومهاراتهم!

كانت ثقافة أهل المنطقة مستمدة شفاهة سواء من أفواه الشيوخ في الولائم والأعراس حيث يصغون لحديث كبار القوم، أو من خلال سمر العائلة حيث تحكي النساء -خصوصاً للصغار- عن (الغول) وعن (عشبه خضار) وملاحم (ذياب) و بلادة (جقار) و حِكْم (بنت الخَص) ... وليس بعيداً عن هذا المجلس يسترق الكبار السمع فيصححون أو يعلقون على كلام الراوية، كما يتحلّق الرجال على العائد من السوق الأسبوعية ومن ضمن ما يحكيه لهم بعض النوادر والقصص سمعها من القصّاص الذي لا يبارح السوق، ويتحلّقون على (الخطار) الذين شاهدوا وسمعوا في طريقهم الكثير من الغرائب ورأوا من أهل فورارة وأهل التلّ الكثير من الأشياء التي تخالف أعراف أهل المنطقة.

وليس من النادر أن يؤدي أحد الأعيان فريضة الحج؛ فهو مؤهل قبلاً لأن يكون مقدّم حكيم، وناقلاً للتراث، هذا إضافة إلى سرده رحلة حجه، وما لاقى من مخاطر، وما كابد من تجارب ومحن، إضافة إلى ما سمعه وما رآه في حجه عموماً.

خلّد شعراء المنطقة الكثير من الأحداث، ورووا الكثير من الحكم، فكانوا مصدر تثقيف ورواة سير وملاحم استمد منهم الكثير مشاهد إنسانية ومعالم للحياة، ومن الشعراء المعروفين في المنطقة الذين لازال الناس إلى اليوم يحفظون أشعارهم الشاعر الكبير محمد بلخير.

\*\* مشاركة الطلبة تعني فيما كانت تعنيه أن يقوم وليّ التلميذ بالتكفل التام بـ(الطالب) مقابل تعليمه لأبناء الحي.



## بريزينة في الدراسات:



تملك بريزينة تراثا زاخرا جعلها قبلة

الأثريين في الفترة الإستعمارية حتى فترة

السبعينيات فقد كتب عنها كل من:

- بعثة فروبينيوس (Frobenius)

الألمانية سنة 1906<sup>(1)</sup> والبحث الذي قام به فرانك إتيان روبرت سنة 1967 واكتشافه

لإحدى محطات النقوش الصخرية<sup>1</sup>.

وقد زارها قبل ذلك بكثير فوفري (VEUFRY (R)) سنة 1906 وأخذ منها

الكثير من الموجودات الأثرية النادرة خصوصا بمغارات الأروية.

كما سجل دلماس ((DELMAS (P)) في المؤتمر الثلاثين لعلماء الآثار ملاحظاته على

مغارات بريزينة<sup>2</sup>.

وقد خصص قابريال أوماسيب دراسة خاصة عن الصناعات الفخارية بمغارات "لروية" بريزينة<sup>3</sup>

1. Roubert F.E 1967, « nouvelles gravures rupestres du sud de l'Atlas Saharienne (Station du Méandre près de Brézina) dans : Lybica XV, p177.

1. Nouvelles Gravures Rupestres du Sud de l'Atlas Saharien (Station du MEANDRE, Prés de Brézina), par FRANK-ETIENNE ROUBERT, LYBICA, VOL XVI. 1967

2. DELMAS (P).1910.Note sur les grottes de Brézina. Contribution à l'étude de l'archéologie préhistorique dans l'Afrique du Nord.

3. AUMASSIP (G) (La poterie des Grottes d 'El Arouia) ; 1970.

وأورد كامبس الكثير من الشواهد الأثرية الموجودة بريزينة<sup>4</sup>

فما يميز بريزينة هي النقوش والرسوم الصخرية، ومغارات الإنسان القديم، والصناعة الحجرية المنتشرة بالمنطقة، فكل هذا جعل الأثريون ينقلون منها الكثير من الرسومات وليس كبش بوعلام بعيد عن المنطقة فهو يقع ضمن سلسلة هذه الرسومات ببلدة بوعلام شمال شرق بريزينة، و تتوزع وسائل الإنسان الحجري على الكثير من مغارات ( الأروية)، كما أكتشف بها مؤخرا بصمات لما يعتقد أنه دينصور يعود إلى 150 مليون سنة، بل وأكتشف بقايا لثدييات منقرضة منذ ملايين السنين بمنطقة الكحل وكانت محل دراسة من قبل معهد الكثير من الباحثين.

---

4.Camps Gabriel (La Civilisation préhistorique de l'Afrique du Nord et du Sahara) 1974.

الفصل الأول

## الفصل الأول:

### الجدر قبور بربرية قديمة

#### المبحث الأول: اصطلاح الجدر ومصدره

- المطلب الأول: الاصطلاح

- المطلب الثاني: وجود المصطلح بالمنطقة

- المطلب الثالث: مصدر الاصطلاح

#### المبحث الثاني: المعالم الجنائزية البربرية والعقائد المتعلقة بها

- المطلب الأول: المعالم الجنائزية البربرية

- المطلب الثاني: العقائد المتعلقة بها.

#### المبحث الثالث: الانتشار الجغرافي والتاريخي:

- المطلب الأول: الانتشار الجغرافي

- المطلب الثاني: الانتشار التاريخي

#### المبحث الرابع: الانتشار الثقافي

- المطلب الأول: الخلود و الخوف من الأموات

- المطلب الثاني: داخل القبر امتداد كوني

المبحث الأول: اصطلاح الجدر ومصدرهالمطلب الأول: الإصطلاح

"أم لرجم" على خارطة الحالة العامة لبربزينة

منذ الدراسة التي قامت بها قادري فاطمة خضرة عن (الأجدار) بمنطقة فرنده سنة 1981 أصبح لهذا المصطلح مدلول أثري؛ على الأقل لا يجهل مدلول كلمة (الأجدار) لدى المختصين ولو أننا أمام إصطلاح آخر لا يبعد عنه كثيرا وهو (لُجْدُر) فهذا إصطلاحٌ محليٌّ لما نحن بصدد دراسته، فالأجدار

إصطلاح خاص بالمعالم المعروفة في حين تسمى بمنطقتنا كل أكوام الحجارة صغرت أو كبرت بـ "الجُدْر" وتجمع "لُجْدُر" كما أنها تسمى كذلك بـ "الرَّجْم" <sup>1</sup> و بربزينة توجد منطقة تسمى "أم لُرجْم" لما تحويه من معالم جزيية كثيرة موضوع بحثنا هذا، كما تسمى كذلك بـ "الكَرَاكِير" وهو نفس المصطلح نجده ببني ونيف ببيشار <sup>2</sup>، كما سميت بالإدْبَنَان لدى الطوارق <sup>1</sup> وحتى نجدد

1. الرَّجَامُ الحِجَارَةُ، وَالرَّجْمُ الرَّمْيُ بِالرَّجَامِ (الزراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، البابي الحلبي، مصر (دون)، ج1 ص190- الرَّجْمُ: ... القبر، وَرَجَمَ القَبْرَ: عَلَّمَهُ، أَوْ وَضَعَ عَلَيْهِ الرَّجَامَ (العظيم آبادي (أبو الطيب)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت 1993).

2. طواهرية عبد الله، جامع التصنيف في أحوال حاضرة بني ونيف، دار الهدى عين مليلة، ط1، 2006، ص20.

الفارق بين "الجدر" وبين مصطلح الأجدار المعروف أثريا نسجل الإشارة التي أوردتها الباحثة قاردي فاطمة خضرة في دراستها عن (الأجدار). بمنطقة تيارت إلى تواجد معالم أخرى صغيرة هي المعالم التي نتحدث عنها بواد میناس غير الأجدار المعروفة ولم تكن تلك المعالم موضوع دراستها إذ إنصبت الدراسة على الثلاثة عشر (13) معلما المعروفة بالمنطقة<sup>2</sup>

### المطلب الثاني: وجود المصطلح بالمنطقة

إن المصطلح الحقيقي الذي إستخدمه سكان المنطقة للدلالة على موضوع دراستنا هو (جدار بني عامر) للدلالة على أكوام الحجارة المكسدة فوق بعضها البعض بشكلها المخروطي أو المقرب عادة والمتشرة بكثرة في المنطقة، فهذا (G.B.M) Flamand في رحلته من وهران إلى ثورارة عبر قافلة لأولاد سيد الشيخ يشاهد هذه المعالم ويسجل أن (أهالي) المنطقة يسمونها (جدار بني عامر) ويسجل ملاحظاته عليها<sup>3</sup>.

وطلبنا للإختصار أصبح الناس يسمون هذه المعالم (الجدر) فقط. حتى إذا ما ناقشتهم فإنهم يعزونها إلى بني عامر.

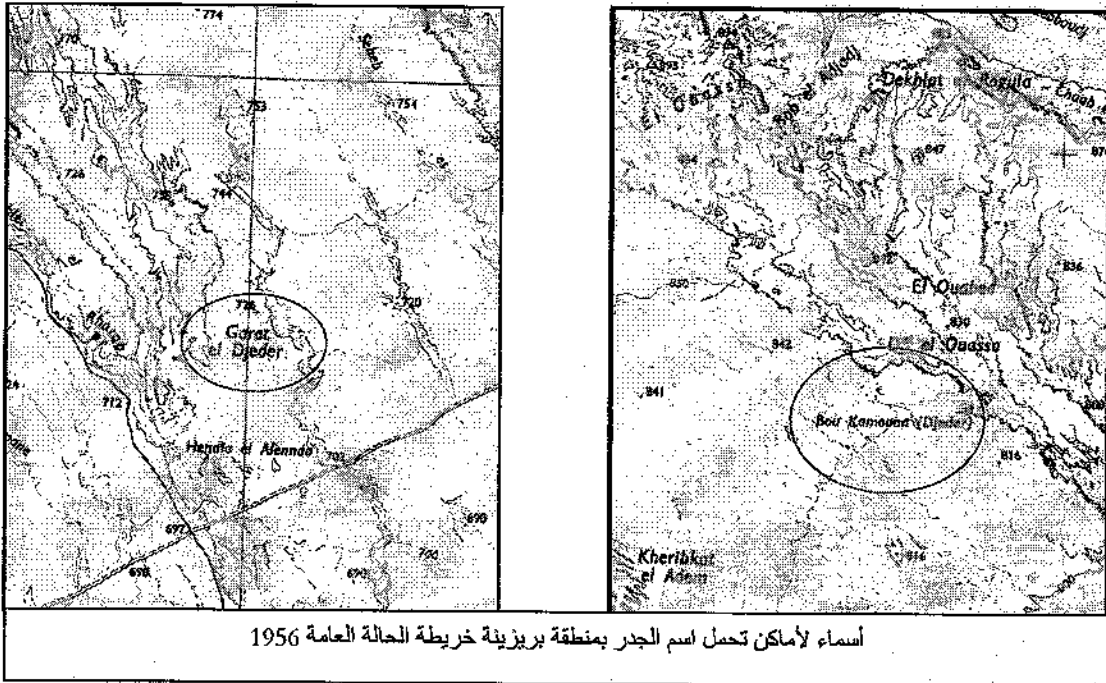
1. STÉPHANE GSELL, histoire ancienne de l'Afrique du Nord les royaumes indigènes vie matérielle, intellectuelle et morale, TOME VI, LIBRAIRIE HACHETTE, Paris 1927, pp.185-221 ; Reygasse Maurice, Monuments funéraires préislamique de l'Afrique du Nord, Paris, 1950, p.33

2. KADRI FATMA KADRA, Les Djeddars, ENAL, Alger, 1983, p15

3. FLAMANDE (G.B.M), De l'Oranie au Gourara (note de voyage), Augustin CHALLAMEL Editeur, Paris 1898, pp : 24,25

نجد هذا المصطلح في تسميات محلية لبعض مناطق تواجد هذه المعالم وعلى سبيل المثال (قارة<sup>1</sup> الجدر) وكما نجد بخارطة الحالة العامة التي وضعها الإحتلال الفرنسي سنة 1956 للمنطقة بعض الأسماء لأماكن تحمل هذه التسمية.

ولقد تُداول هذا الإصطلاح لدى شعراء الملحون فعن جدار نجد هذه الأبيات من قصيدة للشاعر الكبير محمد بلخير<sup>2</sup>:



تَحْفَلُكَ بِالطَّلْبَا لِي قَرَاوْ لِكْتَابِ المِتْرُول  
 مَا عِنْدِي فِي النّاسِ غَيْرَ عِدَّةٍ وَالصّحْرَاوِي  
 رَاهُمْ لِلْغَرْبِ بَعَادَ بَيْنِ لَجْدَارٍ وَدَيْرِ غَزُولٍ  
 فَتَشْ عَلَى الْحَبْسَةِ جَلْسَةٌ وَقَهَاوِي

1. قارة في الاصطلاح المحلي تعني التلة الصغيرة المرتفعة وقد ورد في القاموس المحيط والقارة: الجبيل الصغير المنقطع عن الجبال، أو الصخرة العظيمة، أو الأرض ذات الحجارة السود، أو الصخرة السوداء ج: قارات وقار وقور القاموس المحيط ج ص

2. سونك، الديوان المغربي في أقوال عرب إفريقية والمغرب، موفم للنشر، ط(بدون)، الجزائر 1994، ص 167.

وقال الشاعر صعدي بن عامر<sup>1</sup> يصف الجرار الفلاحي وقدرة تحمله:

مَا كَادُوهُ عَرَافٌ وَسَلَّاسِلُ تَعْلَا      وَلَا كَادُوهُ مُرُوتٌ وَدَمَاقِي وَزَبَارُ

مَا كَادُوهُ شَبَاكٌ وَطَرُقٌ مَعْلُولَةٌ      وَلَا كَادُوهُ حُمَايِدُ الْكُرْدِ وَلِحْدَارُ\*

### المطلب الثالث: مصدر الإصطلاح:

إننا باختصار أمام مصطلح عربي في تركيبته اللغوية متجذر في الثقافة العربية، ففي اللغة

جذر:

الجِدَارُ الحَائِطُ إِلَّا أَنْ الحَائِطَ يُقَالُ اعْتِبَارًا بِالِاحْتِاطَةِ بِالْمَكَانِ وَالْجِدَارُ يُقَالُ اعْتِبَارًا بِالتُّتُوِّ  
وَالرِّتْفَاعِ وَجَمَعُهُ جُدْرٌ قَالَ تعالى: {فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ  
يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا} (الكهف:  
77) وقال: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا  
صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا} [الكهف:82] وفي الحديث: «حَتَّى يَبْلُغَ الْمَاءُ الْجُدْرَ»  
وَجَدْرَتُ الْجِدَارِ رَفْعَتُهُ وَاعْتَبِرَ مِنْهُ مَعْنَى التُّتُوِّ فَقِيلَ جَدْرَ الشَّجَرُ إِذَا خَرَجَ وَرَقُهُ كَأَنَّهُ جَمْصٌ وَسُمِّيَ  
النَّبَاتُ النَّاتِي مِنَ الْأَرْضِ جِدْرًا الْوَاحِدُ جِدْرَةٌ، وَأَجْدَرَتِ الْأَرْضُ أَخْرَجَتْ ذَلِكَ، وَجَدَرَ الصَّبِيُّ  
وَجُدِرَ إِذَا خَرَجَ جِدْرِيَّةً تُشْبِهُهَا بِجَدْرِ الشَّجَرِ، وَقِيلَ الْجِدْرِيُّ وَالْجِدْرَةُ سَلْعَةٌ تَظْهَرُ فِي الْجَسَدِ

1. صعدي بن عامر بن محمد شاعر ببريزينة له العديد من القصائد المتداولة في المنطقة، في شتى مجالات الشعر غير أنه لم يطبع أي من شعره إلا ما نشر بالصحف.

\*.حماید: جمع حمادة أرض منبسطة، الكرد: حجارة صغيرة، لجدار: المعالم موضوع دراستنا حيث تتوزع بشكل كبير على الأراضي المنبسطة في المنطقة.



وَجَمَعَهَا أَجْدَارٌ، وَشَاةٌ جَدْرَاءُ. وَالْجَيْدِرُ الْقَصِيرُ اشْتَقَ ذَلِكَ مِنَ الْجِدَارِ وَزِيدَ فِيهِ حَرْفٌ عَلَى سَبِيلِ التَّهْكُمِ حَسَبًا بَيْنَاهُ فِي أَصُولِ الْإِشْتِقَاقِ، وَالْجَيْدِيرُ الْمُنْتَهَى لِانْتِهَاءِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ أَنْتِهَاءَ الشَّيْءِ إِلَى الْجِدَارِ وَقَدْ جَدَرَ بِكَذَا فَهُوَ جَدِيرٌ وَمَا أَجْدَرَهُ بِكَذَا وَأَجْدِرُ بِهِ<sup>1</sup>.

فالمعالم موضوع دراستنا تشكل تنوعات في كامل المنطقة، بل هي خيطان مهدمة يشكل الواحد منها جسما واحدا لا حائطا ممتدا، فكانت تسمية الجدار لها أقرب إلى الوصف، بل إننا نجد أماكن لدى العرب قديما سميت الجدر، فقد ورد في معجم البلدان<sup>2</sup>:

جَدْرٌ: بالراء... وهي قرية بين حمص وسلمية، تنسب إليها الخمر، قال الأخطل:

كأنني شارب، يوم استبد بهم من قرقف ضمنتها حمص أو جدر

وقيل: جدر قرية بالأردن؛ قال أبو ذؤيب:

فما أن رحيق سبتها التُّجا ر من أذرع فوادي جدر.

ولعلنا إذا غصنا في الثقافة العربية نجد أن سدنة الآلهة "ود" هم بنو عامر الأجدار ابن عبد ود، وقد وردت الإشارة إلى أنه كان يسمى عامرا ثم أضيفت له كلمة الأجدار<sup>3</sup>، على ما يعرفه العرب من معنى الأجدار، فهل سأكون متعسفا إذا قارنت بين هذا الأخير عامر الأجدار سادن (جدر) ود وبين أجدار بني عامر وما يتردد في جنباتها من وحشة المكان وغرابة المعتقد!

1. الراغب الأصفهاني، مصدر سابق، ج 1 ص 89

2. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة جدر.

3. المصدر نفسه، مادة جدر.

فبعيدا عن التعسف ليس أتم وصف لهذه المعالم في اللغة العربية من كلمة جُدْر  
ولعل في صيغة الجمع هذه ما يدل على الكثرة والإنتشار والحال كذلك مع معالمنا  
موضوع الدراسة، فيندر أن تصادف جدارا منفردا أو منعزلا، كما أن صيغة الجمع هذه  
توحي إلى شيء من غرابة هذه الجدر...

المبحث الثاني: المعالم الجنزية البربرية والعقائد المرتبطة بهاالمطلب الأول: المعالم الجنزية البربرية

لقد أولى البربر الأقدمون كباقي شعوب العالم العناية الكبيرة لأمواتهم، بل لقد توجهت كل حضارتهم للاعتناء بقبور أسلافهم، وتشيد آلاف القبور التي عمزت معاول الهدم لحد الساعة على محوها، فبربرية ورغم ما لحقها من تخريب من قبل عمال المقالع لا زالت تعد بالآلاف، شاهدة على حضارة متكاملة أساسها الإعتناء بالأموات، فلم تترك كما الحضارة الفرعونية غير هذه الشواهد الجنزية، فحضارة البربر بهذا المفهوم بنت نموذجها الثقافي على الموت أساسا، فكانت كل حركاتها وسكناتها لا تخرج على احترام أمواتهم.

فإذا شككنا في استخدام الإنسان البدائي للغيران والملاجيء كأماكن طبيعية للدفن<sup>1</sup>، فإن البربر الأقدمين قد زودوا البحث الأثري بالكثير من المعالم التي تؤكد دائما على اهتمامهم بموتاهم، فكانت أبداع هذه المعالم هي الحوانات، و الجثوة<sup>2</sup> Tumulus أو تلة جنزية، شوشات CHOUCHET، دوائر حجرية<sup>3</sup> CROMLECHES، مصاطب<sup>1</sup> DOLMENS و بازينات<sup>2</sup>.BAZINAS

1. أندريه لوروا غوران، أديان ما قبل التاريخ، تر: د.سعاد حرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، ط2، القاهرة 1997، ص54.

2. Tumulus : [tymyls]nm.[pl tumulus ou tumulis](mot lat) ARCHEOL : grand amas artificiel de terre ou de pierre élevé au dessus d'une sépulture. (Le Petit Larousse Paris 1998, p1039)

3. Cromlech : [kromlek] nm. (Breton crom. rond et lech. Pierre) Monument mégalithique formé d'un cercle de menhirs. (Le Petit Larousse Paris 1998, p284)

- **فالخوانت<sup>3</sup>**: هي كلمة عربية تعني الدكاكين، فهي كلها منحوتة في الجدار بشكل أفقي أو موضوعة فوق بعضها البعض، في بعض الأحيان يكون ضروريا استخدام سلما للوصول إلى المدخل، الذي يأخذ شكل باب بدل نافذة أو كوة، يكون السرداب في الغالب مربع الزوايا، مع سقف مسطح أو مقوس، و نادرا ما نصادف شكل الخلية مكورا على شكل قبة نصفية<sup>4</sup> (نجد هذه الخوانت من الساحل الشرقي في تونس حتى المغرب، وتكثر كلما اقتربنا من الشاطئ، وهي كثيرة خصوصا شمال تونس، وكذلك في الشرق الجزائري، تتجمع في بعض المناطق بالعشرات، لتصل إلى المئات)<sup>5</sup> و يؤكد غزال على أصالة الخوانت البربرية في مقابل المقابر الفينيقية، التي تأخذ أشكالا أخرى وخصائص أخرى تشبه الخوانت<sup>6</sup>

1. Dolmen [dolmen] nm. (Breton dol. Table et men. Pierre) Monument mégalithique composé d'une ou de plusieurs dalles horizontales reposant sur des blocs verticaux, formant les parois d'une chambre funéraire (Le Petit Larousse Paris 1998, p344)

2. رابح لحسن، أضرحة الملوك النوميد والمور، ط1، الجزائر، دار هومة 2004، ص20

3 . وردت بهذا الشكل في مصدرها وتداولها الباحثون بصيغة الخوانت بدل الخوانيت الصيغة الفصيحة.

4. Gsell (Ste), Op.cit, p 171

5. Ibid. p172

6. Ibid. p173

- في حين تأخذ المعالم الجثرية الأهلية المعتمدة على تراكم الحجارة عدّة تسميات تختصرها في معلمين أساسيين ومنهما تتفرع الأنواع المختلفة:

- الجثوة الجثرية (Tumulus) : هي عبارة عن ركام من الحجارة على شكل مخروطي مبتور، تغطي غرفة الميت، وتأخذ قاعدتها أحيانا أشكال إهليجية ومربعة، لكن في الغالب تجدها دائرية. علوها يختلف من جثوة لأخرى، أما قطرها فيتراوح متوسطه بين 5 و 6 أمتار\*، كما تحاط في أغلب الأوقات بسياج من الأحجار أو البلاطات، تسند الرجم وتقيه من الإهيار<sup>1</sup>.

- الجثوة المتطورة Bazinas هذه الكلمة أصلها أمازيغي أطلقها سكان الشرق الجزائري وتونس على القبور التليدة السابقة للعهد الإسلامي وتعني عندهم قبور الجهلاء والوثنيين<sup>2</sup> وقد أصبح يطلق هذا المصطلح على كل الجثوات التي تحمل كساء خارجيا ذا أشكال هندسية متنوعة ومبني بإحكام<sup>3</sup>

\*. يصل حتى إلى أكثر من عشرين مترا (20م) في كثير من جدر المنطقة

1. رابح لحسن، أضرحة الملوك النوميد والمور، ص 28

Voir aussi : Gsell (Ste), Op.cit, t.6, PP.185-186.

2. Camps (G), Aux origines de la Bèrbèrie rites et monuments funéraires protohistoriques de l'Afrique du Nord, Arts et métiers graphiques, Paris.1961, p158 . Gsell (Ste), Op.cit, t.6, P.225.

3. رابح لحسن، المرجع نفسه، ص 29.

وهناك أشكال أخرى تأخذها هذه المعالم تختلف تسمياتها بتعدد أشكالها غير أن الغالب فيها لا يخرج عن كونها بازينات أو جثوات جترية ولقد أفاض الباحث فرانسوا باري (François Paris) في أعماله الكبيرة من خلال الحفريات التي قام بها و تحديد التواريخ لتلك المعالم في الصحراء الجنوبية (أزواغ، أير، تافاسست)<sup>1</sup> خصوصا شمال النيجر<sup>2</sup> في إطار معهد أبحاث التنمية الفرنسي (IRD) في قاعدة الأنثروبولوجيا الفيزيائية للنيجر (BANI) ونورد هنا صورا لمختلف الجثوات التي قررها فرانسوا باري في بحثه السابق والذي يعدّ أحدث البحوث حول النصب الجترية قبل الإسلام وهو يحوي تقريبا كل الأبحاث السابقة، ويزيد عليها نظرا لاستخدامه تقنيات توفرت له دون ما سواه من الباحثين،

ونورد هنا كل الأنواع التي ذكرها مع صورها ومخططاتها حتى يتسنى لنا معرفة الفروق

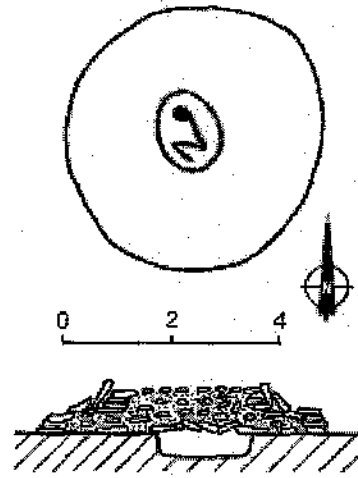
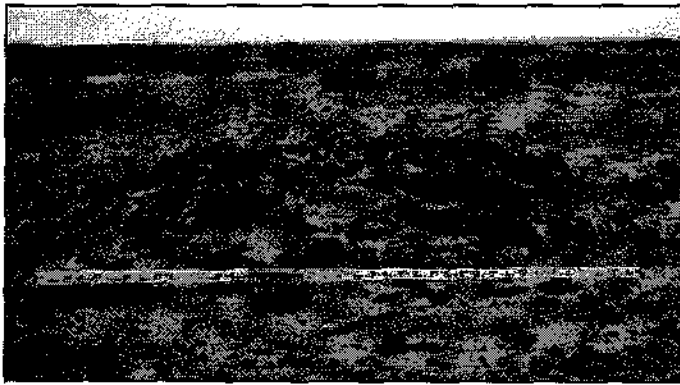
بين كل نوع وآخر

- Bazina
- Bazina à alignement
- Bazina à murette
- Bazina en dôme
- Dallage circulaire
- Enceinte rectangulaire
- Tumulus à alignement
- Tumulus à couloir et enclos
- Tumulus à cratère

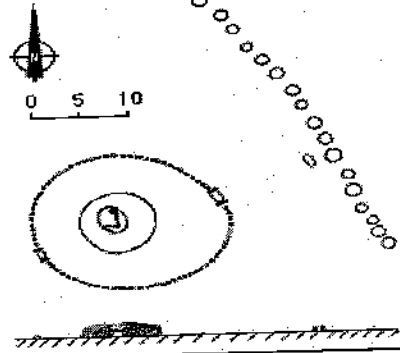
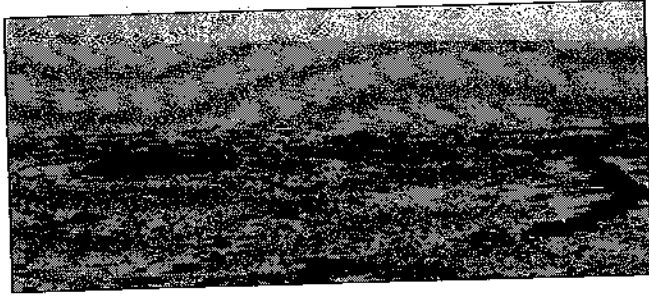
1. [www.sahranéolithique/Tumulus.com](http://www.sahranéolithique/Tumulus.com)

2. لمزيد معلومات يطلع على الموقع المتخصص [www.ird.fr/bani](http://www.ird.fr/bani)

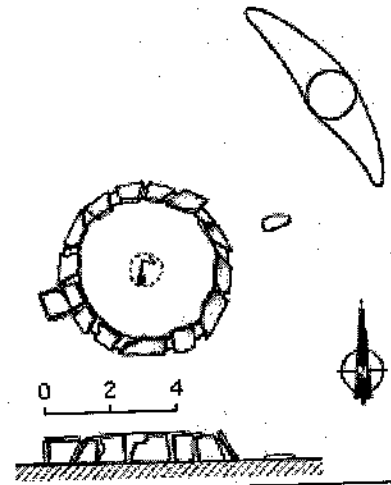
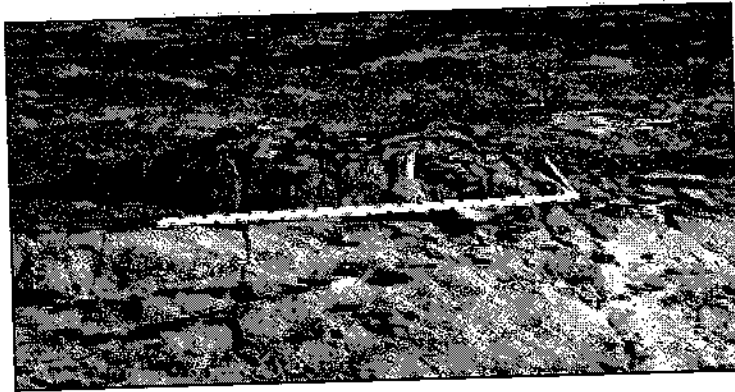
- Tumulus à plate-forme
- Tumulus à puits
- Tumulus conique simple
- Tumulus discoïde
- Tumulus en calotte de sphère
- Tumulus en croissant
- Tumulus lenticulaire.



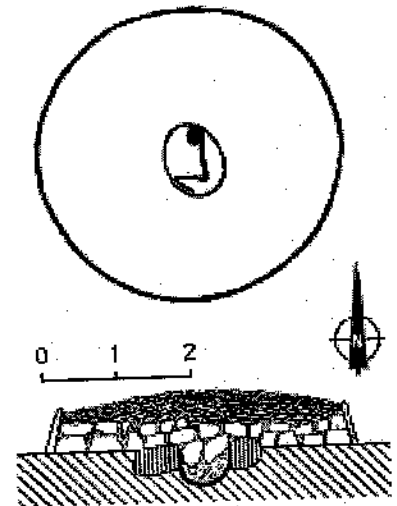
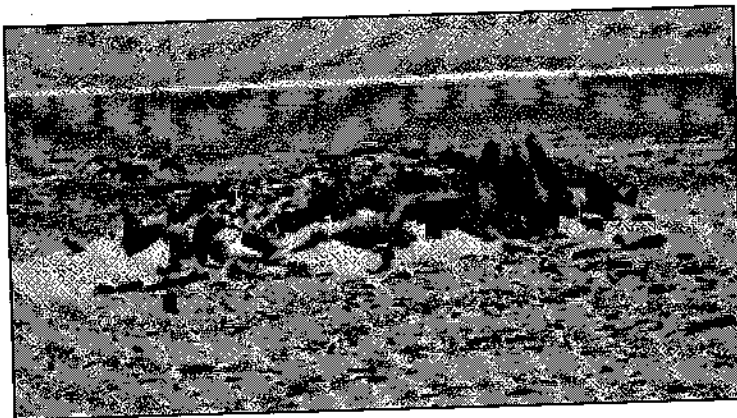
Bazina [www.irid.fr/bani](http://www.irid.fr/bani)



Bazina à alignement [www.irid.fr/bani](http://www.irid.fr/bani)

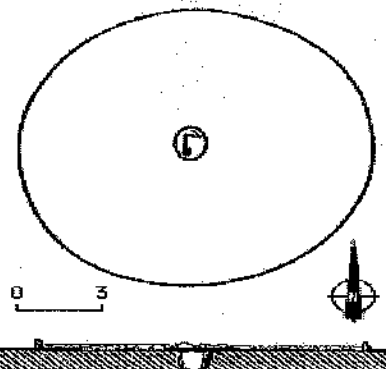


Bazina à murette [www.irid.fr/bani](http://www.irid.fr/bani)

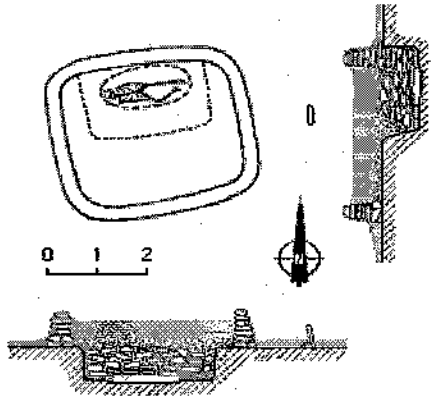
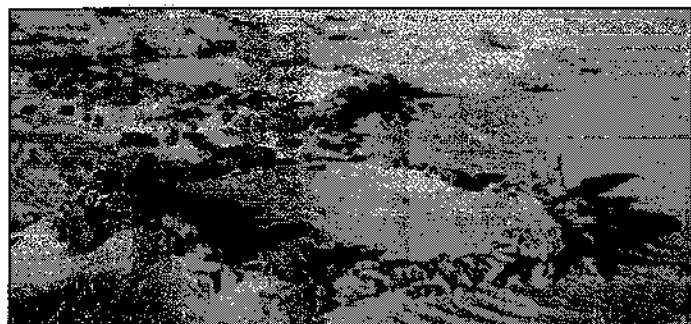


Bazina en dôme [www.irid.fr/bani](http://www.irid.fr/bani)

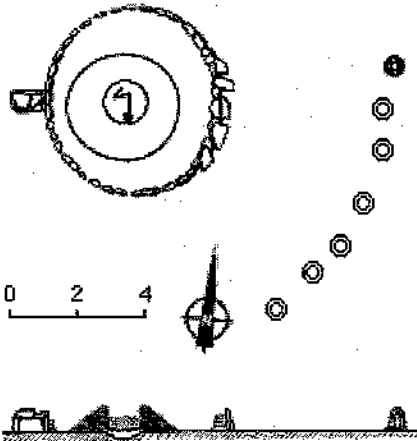
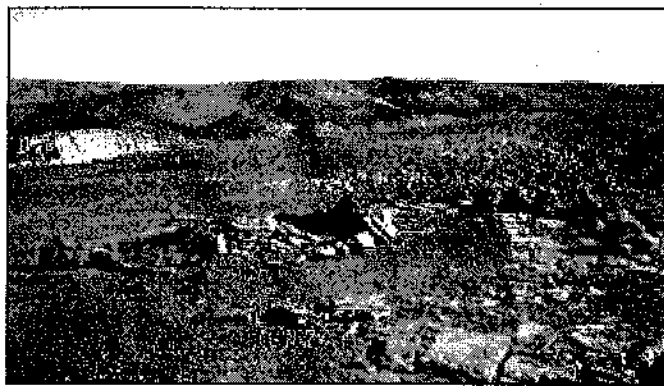




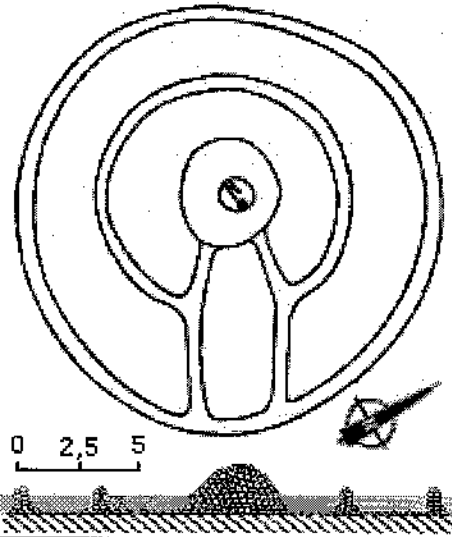
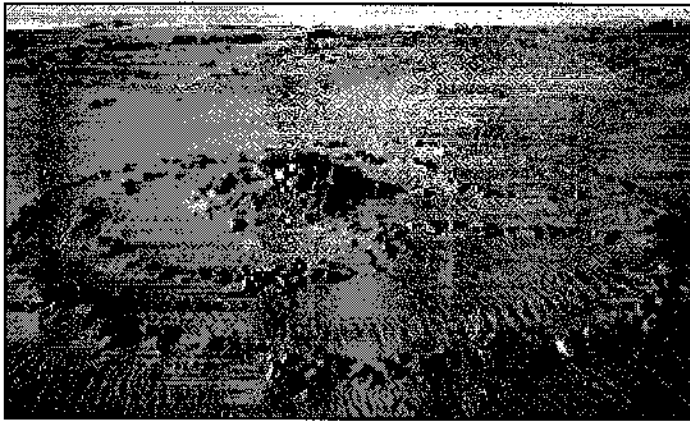
Dallage circulaire [www.irid.fr/bani](http://www.irid.fr/bani)



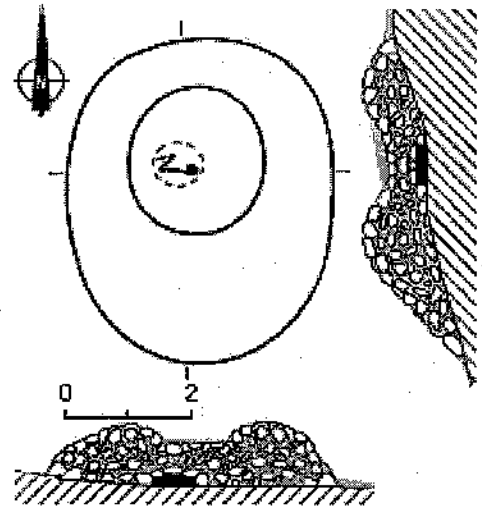
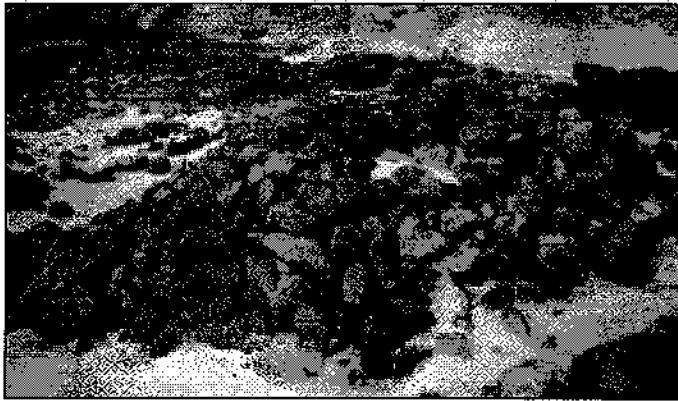
Enceinte rectangulaire [www.irid.fr/bani](http://www.irid.fr/bani)



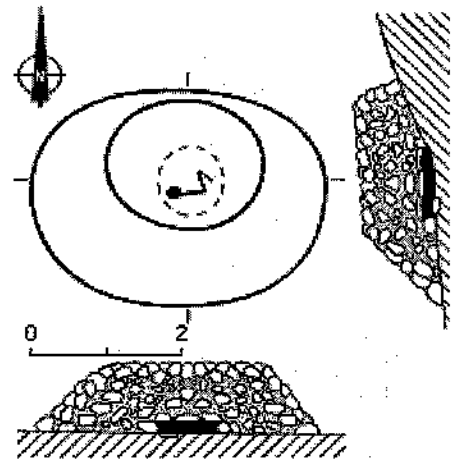
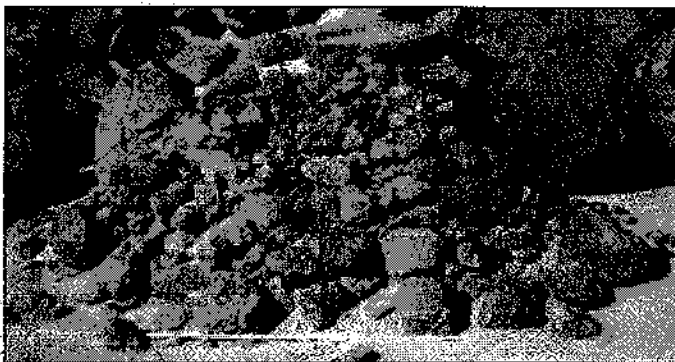
Tumulus à alignement [www.irid.fr/bani](http://www.irid.fr/bani)



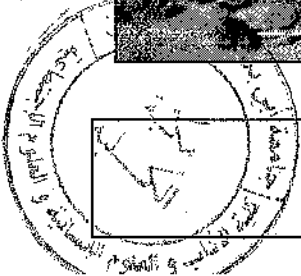
Tumulus à couloir et enclos [www.irid.fr/bani](http://www.irid.fr/bani)

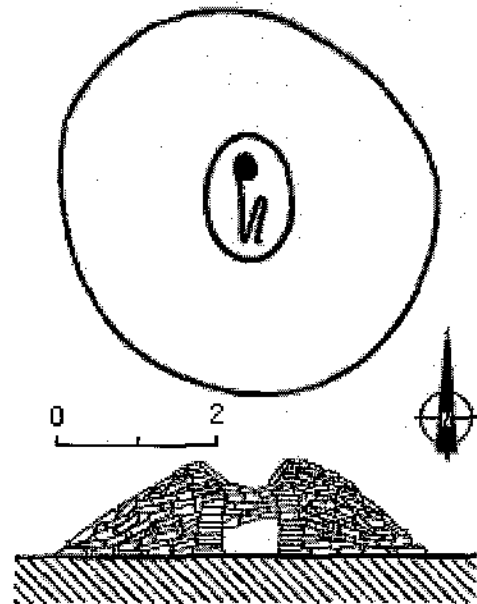


Tumulus à cratère [www.irid.fr/bani](http://www.irid.fr/bani)

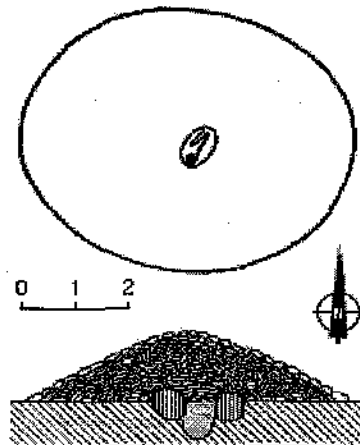


Tumulus à plate-forme [www.irid.fr/bani](http://www.irid.fr/bani)

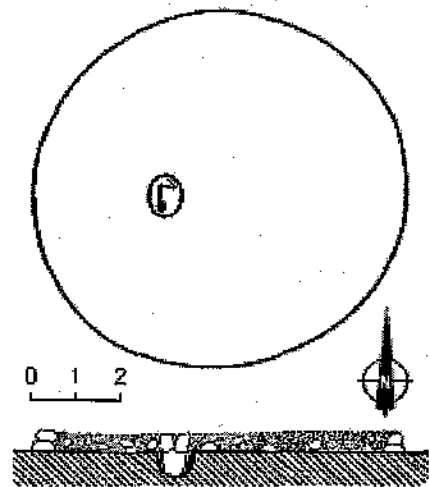
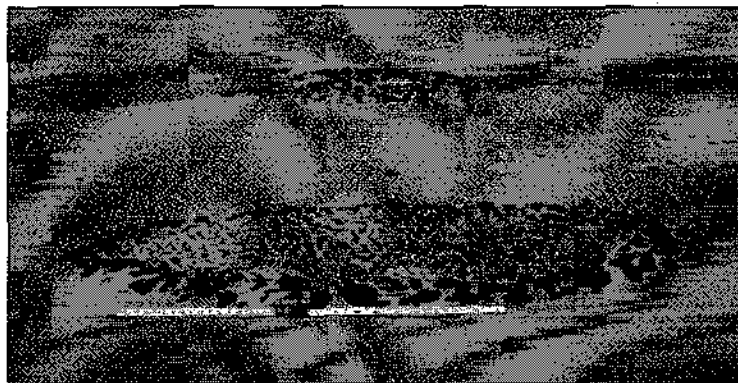




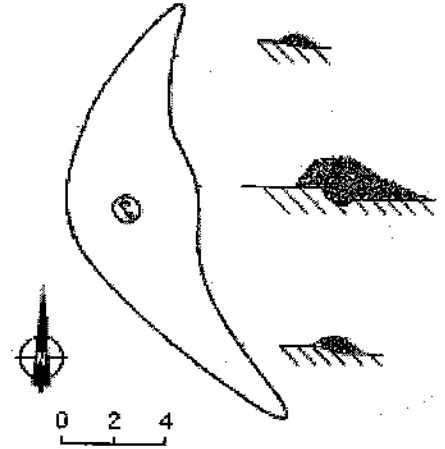
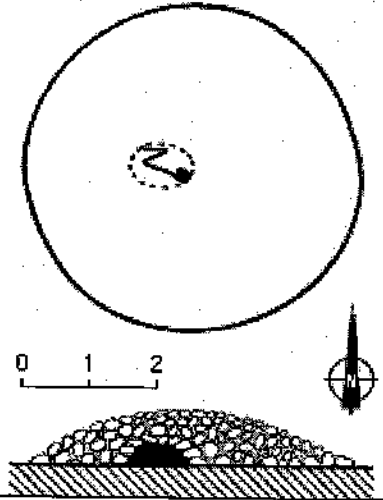
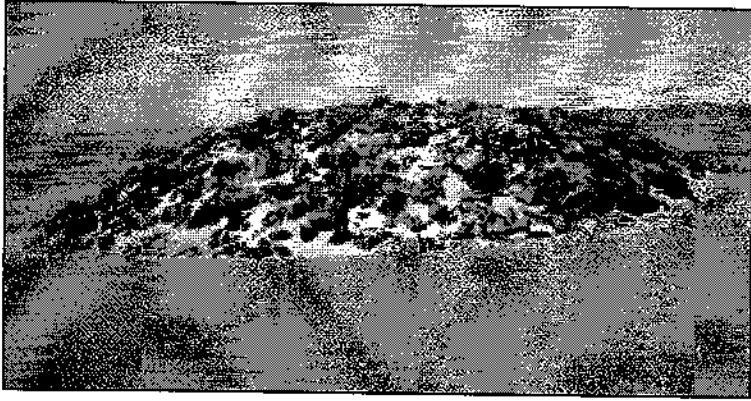
Tumulus à puits [www.irid.fr/bani](http://www.irid.fr/bani)



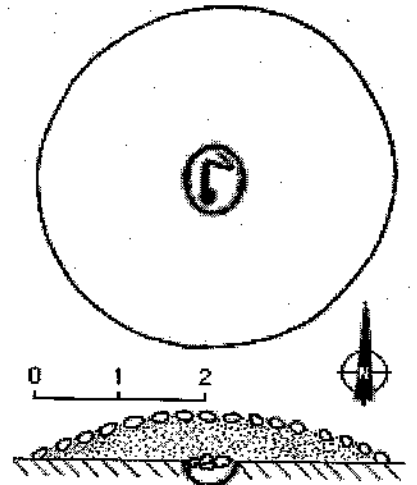
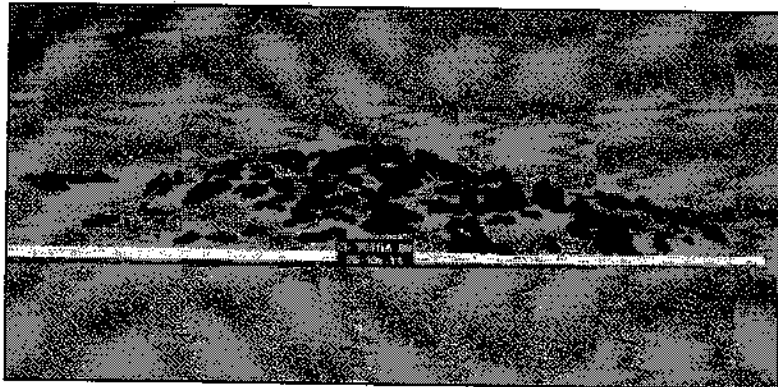
Tumulus conique simple [www.irid.fr/bani](http://www.irid.fr/bani)



Tumulus discoïde [www.irid.fr/bani](http://www.irid.fr/bani)



Tumulus en croissant [www.irid.fr/bani](http://www.irid.fr/bani)



Tumulus lenticulaire [www.irid.fr/bani](http://www.irid.fr/bani)

كما يمكن أن نضيف إلى هذه الأنواع نوعا آخر شبيه بالمعلم ذي الشكل الهلالي والذي

سجله ريقاس في رحلته إلى الأهقار وسماه بالمعلم الشبيه بجذوة الحصان<sup>1</sup>

إضافة إلى المعلم على شكل حرف V في كل من تادارات أكاكوس بالصحراء الليبية

ومنطقة فادنون<sup>2</sup>

وقد تقرر لدى الباحثين أن هذه المعالم الحجرية هي البدايات الأولى للنصب المخددة

للأموات في الشمال الأفريقي وقد امتزجت مع الثقافات الوافدة لتخرج عنها الكثير من الأضرحة

الملكية المعروفة في المغرب العربي مثل قبر الرومية

(الضريح الموريطاني) بمنطقة تيبازة والمدغاسن بنواحي

باتنة وسيفا ببني صاف وضريح ماسينيسا بالخروب

والأجدار الثلاثة عشرة ببلدية لجدار بمنطقة تيارت<sup>3</sup>

• المصاطب الحجرية أو الدولمن Dolmens:



<http://en.wikipedia.org/wiki/Dolmen>

الدولن كما مر معنا كلمة بروتانية، تتشكل

من حجارة سائدة لحجرة كبيرة مشكلة بذلك ما يشبه المصطبة، (في الدولينات الحقيقية، المصطبة

1. Reygasse (M), Op.cit, p.39

2. الأوابد الميقاليتية ما قبل إسلامية، ماسيمو باستروشي، تر: أسامة عبد الرحمن النور،  
أركماني مجلة الآثار والأنثروبولوجيا السودانية، ديسمبر 2006 ،

[www.arcamani.org](http://www.arcamani.org)

3. ينظر الكتاب السابق الذكر لرابح لحسن، ودراسة فاطمة خضرة قادري السابقة.

تتوضع الآن على قوائم منخفضة، موضوعة بالزوايا، ولكن بين هذه القوائم التي قاومت الزمن، كان هناك دون شك حيطان عامرة اختفت في كل الدولمينات الحالية... شكلها يكون مستطيلا أكثر مما هو مربع، وأبعادها العادية 1,20م - 1,50م طولاً، 0,80 - 1م عرضاً، وفي الإرتفاع بين 0,80م إلى 1,20م<sup>1</sup>

توضع عادة بعض الحفر على سطح الدولمينات ومن المحتمل أن هذه الحفر التي استحدثت والتي فحصت ببني مسوس من قبل F. Rengault هي عبارة عن مكان لإراقة الشراب المقدس كقربان كما يمكن كذلك إراقة سوائل أو أطعمة داخل الدولمن<sup>2</sup>

تتواجد الدولمينات بالجزائر خصوصا بالركنية بقالة أين تحوي حوالي 3000 دولمينة كما تحوي بونواردة على آلاف كثيرة من الدولمينات وتحوي بني مسوس بين 250 إلى 300 دولمينة<sup>3</sup> كما تتواجد هذه الدولمينات بالجلفة، وفي مقابر عمالة قسنطينة - سابقا - ( بونواردة، سيلا، سيقوس، قلعة بوعفان، الضنم، أشوكان... إلخ )<sup>4</sup>

1. Gsell (Ste), Op.cit, t.6, P.191

2. CAMPS Gabriel, les dolmens de Beni Messous, LIBYCA, Tome. I. Juillet 1953, p.364.

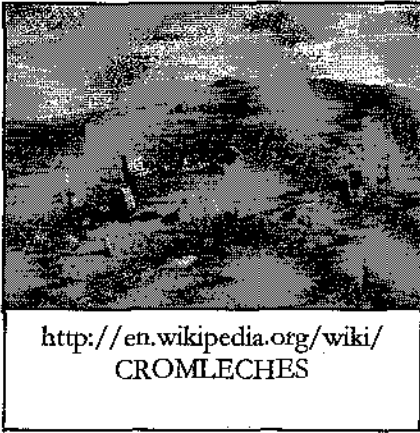
3. Ibid. P.337.

4. Gsell (Ste), Op.cit, t.6, P.197.

## • الدوائر الحجرية (CROMLECHES):

هي عبارة عن قبور محاطة بسياج دائري من الحجارة، تأخذ أحيانا أشكالا مستطيلة و إهليجية<sup>1</sup> تحيط الدوائر الحجرية في أغلب الأحيان بالجثوات أو المصاطب، كما أنها بشمال إفريقيا أصغر من نظيراتها الأوروبية، وتكون حجارها موضوعة بشكل عمودي في التراب أو ملقاة بشكل عادي<sup>2</sup>.

يرى كامبس (CAMPS) أن أغلبها قد استخدم كمذابح لحرق الأموات أو كمكان لعرض جثة الميت قبل موتها أو غيرها من الممارسات و الطقوس الجثرية الخاصة<sup>3</sup>



<http://en.wikipedia.org/wiki/CROMLECHES>

وتنتشر هذه الدوائر بكثرة في الهضاب العليا بوسط الجزائر<sup>4</sup>، شمال الحضنة، في الأوراس، كما توجد أيضا في كل من بلاد القبائل، سطيف، بالقرب من قسنطينة، بالغرب الجزائري لاسيما الشلالة (باليض) وكذلك بين معسكر وسعيدة<sup>5</sup>

1. REYGASSE (M), op.cit, p.13.

2. Ibid. P.13 .

3. CAMPS (G), Aux Origines...Op.cit. p. 86.

4. STÉPHANE GSELL, Atlas archéologique de l'Algérie, Alger, 1911, feuille n° 24, Boghar, n° 160-165.

5. رابح لحسن، مرجع سابق، ص33، نقلا عن Pallary, P. Monuments mégalithiques de l'arrondissement de Mascara, Matériaux, t.XXI, 1887, pp. 451-459.

## • شوشات (CHOUCHET):

أو القبور القلاعية، هي عبارة عن قبور دائرية تشبه الأبراج أو القلاع، يبلغ علوها ما بين اثنين إلى ثلاثة أمتار، وقطرها بين ثلاثة إلى خمسة أمتار، لها صور خارجي، مبنية بالحجر المنحوت ومرصوفة بإحكام، وفي العمق توجد الغرفة الجثرية، مساحتها ضيقة وغالبا ما توضع فيها الجثة في الوضعية المنطوية<sup>1</sup>

نجد الشوشات في الشرق الجزائري، وشمال الحضنة وفي الأوراس، أين تشكل في الغالب بمجموعات مهمة سواء لوحدها أو متداخلة مع الجثوات، وتوجد كذلك في الصحراء عند البربر البدو استنادا إلى ما كتبه غوتيه (Gautier)<sup>2</sup>

## المطلب الثاني: العقائد المتعلقة بها.

يشبه أندري لوروا غوران البحث عن معتقدات الإنسان القديم من خلال الشواهد التي خلفها كمن يريد تجسيد مسرحية من خلال ما يراه من ديكور على خشبة فارغة<sup>3</sup> ليخلص في

1. Reygasse (M), op.cit. pp.37-38 .

2. Gsell (Ste), Histoire ancienne ... Op.cit, t.6, P.197.

3. أندريه لوروا غوران، مرجع سابق، ص.64.



الأخير إلى القول ضمناً أن هناك من فسّر الشواهد الأثرية على هواه (ولكنني أخشى أن نخون إنسان الكهوف، إذا زدنا على الشواهد التي تركها)<sup>1</sup>

فكل ما تركه الإنسان البربري القديم هي شواهد وآثارا جزئية إضافة إلى رسومات صخرية ولوحات فنية جعلت العلماء يتسابقون في تحليل عقائد البربر القدامى ليصلوا بهم من تمجيدهم لأمواتهم وخوفهم الشديد منهم إلى تجريدهم أمواتهم من اللحم في منظر مقزز يبعث على احتقار وازدراء الأموات!

وبقليل من الشواهد المتاحة إضافة إلى ما كتبه الرحالة عن السكان الأقدمين لشمال إفريقيا يسجل الأثريون الديانة التي عرفتها الجزائر قديماً والمتمثلة في (عبادة الشمس والقمر وهما من معبودات المصريين) وعبادة بعض الحيوانات منها القرد والثور والكيش والئيس، وقد وُجد بجبل بني راشد\* تمثال يدعى "آمون" كانوا يتخذونه إلهاً وهو صورة تيس على رأسه دائرة الشمس، وكانوا يعظمون العيون والأشجار والجبال، ويحترمون الأموات ويشيدون لهم قبورا  
ضخمة)<sup>2</sup>

1. المرجع نفسه، ص 148.

\* قد يقصد به "جبل راشد" امتداد لجبل كسال نحو الشرق كما أنني أظن أنّ التمثال عبارة عن رسومات صخرية فقط إذ لم أقف على ذكر هذا التمثال لدى أي من الأثريين. ولعلّ المقصود هو "كيش بوعلام" حوله يراجع: Flamand, Les pierres écrites (Paris, 1921).

2. مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط(دون)، الجزائر، تاريخ(دون)، ج. 1. ص. 75.

(وكان قدماء الجزائر يعتقدون بحياة أخرى غير الحياة الأولى ويرون أن الميت في قبره أكمل منهم علما... يدل على ذلك ما تقدّم من أن منهم من يضع الميت في قبره جالسا ملتصقا بطنه بفخذه ولحاه بركبتيه، يمثلون بهذا الوضع هيئة الجنين في بطن أمّه،\*\*، كأنه يموت وولد في عالم آخر، ولذلك يضعون معه أطعمة وأشياء من الزينة و إذا أهمهم أمر لم يهتدوا إلى وجه استشاروا الموتى من أسلافهم فينام أحدهم على قبر سلفه وما رآه في منامه عمل بمقتضاه في يقظته)<sup>1</sup>

ومن خلال ما مرّ معنا من معالم جزئية كثيرة ومتنوعة نستخلص أنّ الإنسان البربري كرّس حياته لمعتقدده، وإيمانه العميق بالحياة الأخرى جعله يشيد المعالم الكثيرة إضافة ما يرافق الميت من أثاث استعمله في حياته (فنادرا هي الدولمينات والبازينات التي لا تمتلك أوانٍ منزلية: صحون، أطباق، كؤوس...)<sup>2</sup>

\*\* . لقد سُجّلت هذه الوضعية لدى العديد من الباحثين وهم من اصطلحوا عليها "الوضعية الجنينية" ولا يمكن أن نحمل الإنسان القديم هذا التحليل المتشعب بمعرفتنا لشكل الجنين في بطن أمّه الذي بالتأكيد كان غائبا عنه، غير أنّه سيدخل دائرة الممكن إذا عرفنا أنه هناك من الشعوب من لهم طقوس خاصة مع موتاهم فشعب الألباس بإفريقيا مثلا في حالة وفاة امرأة حامل (يقوم الكاهن بفتح بطنها لإخراج المولود الميت ودفنه إلى جانب أمّه) ينظر: بوساحة أحمد، حقيقة الموت في نظر الديانات، الانتشار العربي، ط1، بيروت 2008، ص77.

1. المرجع نفسه، ج1، ص76.

2. CAMPS (G), les dolmens de Beni Messous, Op.cit. p.363.

وقد أطلق الباحثون على هذه الأواني بالفخاريات الجيرية أو الأثاث الجيري سواء كان مستعملا في الحياة اليومية سابقا أو أعدّ خصيصا لحدث الموت، كالصحن ذات الأبعاد الصغيرة والمصاييح و مجامر البحور<sup>1</sup>

وحتى لا نتجن على عقائد البربر الأقدمين ننقل الموجودات بقبورهم ومعالمهم لتزيد من صورة المعتقد.

- الميت ممد في الوضعية العادية التي نعرفها الآن، سواء على جنبه الأيمن أو الأيسر، أو على ظهره، وقد سجل الباحثون ندرة وجود هذه الوضعية الأخيرة في مدافن فجر التاريخ<sup>2</sup>
- الميت في الوضعية المنطوية أين يوضع على أحد جنبيه و تثني أطرافه السفلى إلى بطنه، وتلتصق أطرافه العليا بصدرة متجهة إلى بطنه<sup>3</sup>
- الوضعية المنكمشة (أو الوضعية الجنينية)<sup>4</sup>، هي حالة من الوضعية المنطوية غير أنها مميزة عنها، حيث يكون اليدان أكثر التصاقا بالصدر وتلامس الركبتان الوجه ويتصل العقبان بعظم الحوض في شكل يشبه الجنين في بطن أمه<sup>5</sup>.

1. Ibid. p364

2. Gsell (Ste), Histoire ancienne ... Op.cit, t.6, p.215

3. Ibid, t.6, p.209

4. خليفة بن عمار، لمحة عن الجنوب الغربي الجزائري الأعلى من الأصول إلى ظهور الإسلام، مطبعة الغرب، ط1، سنة (بدون)، الجزائر، ج.1، ص.32

5. Camps (G), Aux Origines...Op.cit, p472-474.

(وقد فسّرهُ البعض كدلالة على الخوف من الميت الذي يُطوى ويُربط ليؤمن شرّه، وفسّره البعض الآخر كدليل على أنّ الميت المطويّ في وضعية جنينية كان يوضع في باطن الأرض بانتظار ولادةٍ جديدةٍ، وعندما ترى المستندات التي أُعتمد عليها لتدعيم هذه الافتراضات يُمكن عندها العثور أو الدفاع عن عشرين تفسيراً آخر)<sup>1</sup>

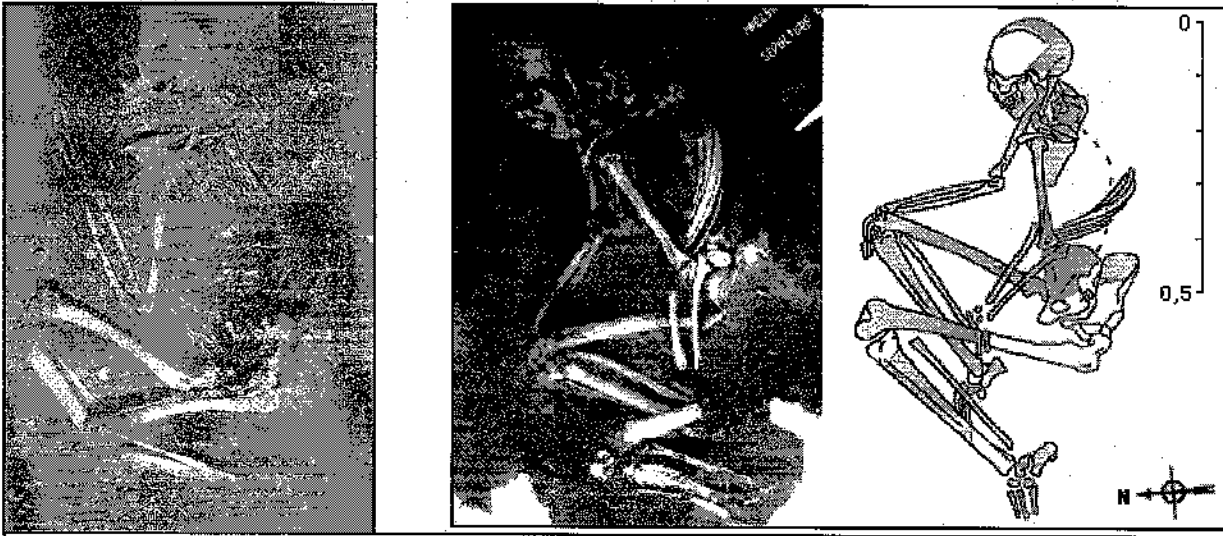


- وضع الأواني الفخارية و شقوف الأواني الفخارية والمعادن والأسلحة والحلي وعظام الحيوانات وقشور بيض النعام<sup>2</sup>

1. أندريه لوروا غوران، مرجع سابق، ص54.

2. Gsell (Ste), Les monuments antiques de l'Algérie, Paris 1901, p.2-3

وينظر: خليفة بن عمارة، مرجع سابق، ج.1، ص.32 وينظر كذلك: الموقع المشار إليه سابقا [www.irid.fr/bani](http://www.irid.fr/bani)



بعض وضعيات الدفن داخل الجدر  
على اليمين: تخطيط للصورة الوسطى منقولة من بحث فرانسوا باري بالنيجر [www.ired.fr/bani](http://www.ired.fr/bani)  
على اليسار صورة منقولة من الجزائر في ما قبل التاريخ ليونال بالو ص 102

- وجود لوحات حجرية بأحجام صغيرة مرسوم عليها بالألوان عدّة موضوعات كالأحصنة و التّعام، وفي بعضها صوّرت أوان فخارية.

فقد وجد النقيب فيلا لونكا (VILLALONGA) بالقنادسة بشار ألواحا تحمل

الكثير من الموضوعات السابقة



لوحات وجدت بتابوت في أحد الجدر بمنطقة القنادسة بشار كما هو موضح عليها  
نقلا عن موريس ريقاس، مرجع سابق ص 107

وأرسلها إلى متحف البارودو وفي تعليق مقتضب عزاها موريس ريقاس إلى تأثر البربر

بالرومانين<sup>1</sup> في حين أن ما وصلنا من النقود النوميديّة يدلنا على ما أولته شعوب المنطقة للفرس من تمجيد ليحتلّ الوجه المقابل للحاكم الممجد، فبالمتحف الوطني بسطيف نرى الكثير من النقود التي تحمل صورة الملك سيفاكس (202- 213 ق م)، ماسينيسا (208- 105 ق م) و حيميصال (105- 62 ق م) من جهة ومن الجهة المقابلة (حصان راكض ليسار حر، خصره كروي بدون كتابة)<sup>2</sup>

كما نسجل أنّ وجود الرماد في الكثير من الجدر جعل الباحثين يقولون بحرق البربر لموتاهم ولقد رأى قزال أنّ هذه العادة نادرة في شمال إفريقيا وترجع إلى القرن الثاني قبل الميلاد كما أنّها بتأثر من القرطاجيين والإغريق فبحوار المدغاسن بالخروب وُجد في بعض الجدر القرية منه بقايا هياكل عظمية محترقة<sup>3</sup>

وإضافة إلى حرق الأموات رأى الباحثون أنّ البربر استعملوا عادة تجريد الجثة من اللحم، ورغم الأدلة الباهتة إلا أننا نجد هذا الأمر مقررا لدى الباحثين أمثال قزال وريقاس وبالو وكامبس، فقد نقل كامبس ( أنّها طريقة خاصة بشمال إفريقيا منذ ما قبل التاريخ)<sup>4</sup> وتضاف إليها طريقة تحليل الجثة (تركها تتحلل من اللحم).

1. Rygasse (M), Monuments Funéraires Préislamique... Op.cit p.104

2. مجموعة السكة، المتحف الوطني سطيف، وزارة الثقافة، 1998، ص ص 16-25

3. Gsell (Ste), Histoire ancienne ... Op.cit, t.6, pp.216-217

4. CAMPS (G), les dolmens de Beni Messous, Op.cit. p.362.

ففي وقت بناء الدولن تترك الجثة تتحلل في قبر مؤقت وريثما تحضّر الدولن تكون الجثة عبارة عن عظام نخرة توضع في الدولن في طقوس خاصة، لذلك رأى البعض أنّ الدولن هي مرحلة نهائية من سلسلة مراحل في الدفن تدفن خلالها الجثة في البداية قرب الدولن ثم يعاد وضع الجثة في الدولن في مرحلة نهائية<sup>1</sup>

فإزالة اللحم من الجثة يشرح ربما كذلك الرغبة في جعل الميت غير قادر على أقل حركة، فالعظام المزالة اللحم توضع بعد ذلك في رزمة مبعثرة، وفي أقل مساحة ممكنة...فإزالة اللحم هو قتل للموت وشلّ له نهائياً<sup>2</sup>

ولنفس الغرض عمد البربر الأقدمون إلى تقييد الميت داخل قبره، أو وضعه داخل جلد حيوان<sup>3</sup>

كما استعمل البربر الأقدمون الجباب الأحمر لتلوين الميت وقد لوحظ ذلك في الكثير من المعالم الجثرية<sup>4</sup>، كما تركت بعض الأواني التي تحمل هذه المادة بجوار الميت كما الشأن في قبر تين هينان بأبالسة<sup>5</sup>

1. Ibid, pp. 361-362

2. Ibid, p.363

3. Camps (G), Aux origines ...Op.cit, p.540 ; Gsell (Ste), Histoire ancienne...Op.cit, t.6, p.239

4. Gsell (Ste), Histoire ancienne..., Op.cit, t.6, p.217, p.235

5. رابح لحسن ، مرجع سابق، ص 369.

ومن خلال تشييد القبور الكبيرة والكثيرة يتضح ما أولاه البربر لأجدادهم وتكريمهم لموتاهم ليصلوا بهم حدّ القداسة فكما مرّ معنا من مييت الأحياء عند الأموات حتى يستهدوا بنصحهم نجد عادة الدفن التي مورست قرب قبر الجد.

فالدولن مع مرور الوقت احتلت بسبب الشخص المدفون بها قداسة تسابق الناس إلى الدفن حولها حتى ينالوا شفاعة المكان<sup>1</sup>

---

1. CAMPS (G), les dolmens de Beni Messous, Op.cit.p. 361.



## المبحث الثالث: الانتشار الجغرافي والتاريخي:

لقد رأينا الجدري وكوفها مدافن للإنسان القديم، وتواجدها بالمنطقة، فهل نجد لها انتشارا جغرافيا وتاريخيا في باقي الحضارات؟

### المطلب الأول: الانتشار الجغرافي:



خريطة لتواجد المعالم الخنازيرية بالمغرب العربي

نقلا عن الباحث رابع لحسن، مرجع سابق، ص 369

أنا أمام رمزية شكل البناء الهرمي الذي منشؤه اتخاذ التلال وأكوام الحجارة على قبور الأسلاف، حيث تأخذ هذه المنشآت قاعدة ثم تتناقص حتى رأس التلة أو الهرم، ليلعب هذا البنيان تمامه كما بلغ هذا الإنسان نهايته في عالم الدنيا<sup>1</sup>،

من خلال العديد من

الدراسات التي تصفحناها على

شبكة الأنترنت نسجل تواجد

<sup>1</sup>. بوساحة أحمد، مرجع سابق، ص 106.

هذه المعالم في الكثير من القارات ولو  
بشيء من التحوير، فالمبدأ العام الذي  
يعتمد تراكم الحجارة والتلال يشمل  
الكثير من الأجناس البشرية، وكل  
الحضارات تقريبا، والمعالم الجزرية  
بالشكل الذي نحاول دراسته متواجد  
على الخصوص بشمال إفريقيا، حتى



جدر بمنطقة جبل حفيث بالإمارات  
نقلا عن موقع متحف الإمارات العربية المتحدة  
[www.aam.gov.ae/sections/arc/hafit\\_tombs\\_a.htm](http://www.aam.gov.ae/sections/arc/hafit_tombs_a.htm)

السودان وإذا أضفنا إليها بعض الخصائص الثقافية في طريقة الدفن فيمكن تعميم تواجدها كما  
سيأتي على القارة الأوربية في جزئها الغربي والصفة الأخرى من المحيط الأطلسي، وبالنظر للصورة  
التي أمامنا لجدر بمنطقة حفيث بالإمارات العربية المتحدة نستطيع إلحاقها ضمن انتشار هذه المعالم  
مع ما سيمرّ معنا من وصف لقبر أبي رغال، حيث تواجده المئات منها يؤكد وحدة المنطقة  
الجغرافية مرورا بالجزيرة العربية فالسودان وليبيا والنيجر والجزائر حتى المغرب وموريتانيا وحتى  
تتضح المعطيات جيدا فنقل الخريطة التي نتحدث عن وجود المعالم الجزرية على الأقل بالمغرب  
العربي والتي أعدها رابع الحسن.

ونضيف إلى ذلك ما لاحظته فرانسوا باري بشمال النيجر كما يمكننا أن نلحق بذلك

القبور التي اكتشفت بالسودان والتي تحمل بصمات أصحاب هذه المعالم.

والتي تعد في رأي الباحثين اللبنة الأولى للنصب الجزرية التي تتطور عنها الأهرام البجراوية بالسودان في البداية ثم أهرامات الفراعنة لاحقاً<sup>1</sup> ويلمحة بسيطة نجد أن السودان والمشرق العربي يعتبران قريبان بالنسبة إلى أماكن أخرى وجدت فيها هذه الأنواع من المعالم، (وهناك حضارات متطورة حورت التل البدائي إلى بنايات بشكل هرمي، بالنسبة للشعوب التي اعتمدت على التل نجد الإسكيمو الشرقيين الذين يدفنون أمواتهم تحت أكوام من الحجارة، ونجد عند السالت والغالين أن قبور المقتولين تكون بشكل تلال، كما أن الفايكنغ يدفنون زعماءهم في تلال أيضاً)<sup>2</sup> وكذلك الدفن في المعالم المكتشفة كعالم بوگون (Tumulus de Bougon) بفرنسا ومعالم منطقة الكرنك Carnac بالشمال الغربي لفرنسا أين توجد الآلاف من المعالم الجزرية بما فيها (Les Tumulis)، وموجودة نفس المعالم بشيء من التحوير بالجزر البريطانية، وشبيهة بذلك المعالم الموجودة بأمريكا بأوهايو والميسيسيبي والتي بناها شعب الأمرينديان (Amérindiens)<sup>3</sup>

### المطلب الثاني: الانتشار التاريخي

يمكننا القول بأن هذه المعالم تعود إلى بداية العصر النيوليتي، وحسب الدراسة التي قام بها فرانسوا باري فهي تعود لثمانية آلاف (8000) سنة قبل الميلاد حتى لفترة دخول الإسلام

1. فرانسيس جيوز، عادات الدفن في واد النيل الأعلى: لمحة عامة، ترجمة د. أسامة عبد الرحمن النور، [www.arcamani.org](http://www.arcamani.org)

2. بوساحة أحمد، مرجع سابق، ص 105.

3. Voir [www.Encarta2006.fr/](http://www.Encarta2006.fr/) Tumulus

للمنطقة<sup>1</sup>، وقد نتج عن هذه المعالم تطورات كبيرة حسب رتبة الشخص المدفون فظهرت الكثير من المعالم الجزئية المستوحات من الجدر، والتي عبرت عن المكانة السامية لأصحابها كما الحال مع المدغاسن، قبر الرومية، لجدار، بلاد قيطون، والغور وتين هينان بأبالسة، فكل هذه المعالم شيدت بين القرن الرابع قبل الميلاد والقرن السابع الميلادي<sup>2</sup>

وقد لاحظ موريس ريقاس قبور حديثة للطوارق قريبة الشكل بهذه المعالم بالأهقار<sup>3</sup> مما يوحي باستمرار تأثير هذه الثقافة على السكان الحاليين للأهقار إلى وقت طويل، كما ذكر أرنست مارسى في كتابه تاريخ إفريقيا الشمالية أنه مازال يوجد في الجزائر، وبالتحديد في ضواحي قلعة بني حماد في الجبال الواقعة شمال المسيلة، قبائل تبني دولينات حقيقية<sup>4</sup>، (وإلى عهد قريب كانت هناك عادة خاصة لدى سكان الأوراس بالجزائر، وهذا في التعامل مع جثة القتيل، إذ يدفن في مكان الحادثة، وتوضع أحجار بشكل تل على قبره... وعند القبائل فإن الإنسان الذي قتله أسد، فإنه يتم إنشاء قبر خاص به وكلما مرّ أحد قذف بحجر على هذا القبر تعظيما لصاحبه)<sup>5</sup> وقريب منه ما سنلاحظه من تأثيرات على المدافن الحالية.

1. Voir : [www.irid.fr/bani](http://www.irid.fr/bani)

2. رايح لحسن، مرجع سابق، ص 383، 384.

3. Reygasse Maurice, op cit , pp41,67

4. Ernest MERCIER, Histoire de l'Afrique Septentrionale (BERBERIE) depuis les temps les plus reculés jusque la conquête Française (1830), tome premier, ERNEST LEROUX ÉDITEUR, Paris 1888, p27.

5. بوساحة أحمد، مرجع سابق، ص 75.

## المبحث الرابع: الإنتشار الثقافي

إننا في هذا المبحث أمام إنتشار لعناصر ثقافية مشكلة لعقيدة مرتبطة بالمعالم الجزرية، أساسها الإيمان بحياة أخرى يحتاج فيها الميت إلى طعامه وشرابه، إلى سلاحه و خليه، إلى أوانيها وما تعلق به في حياته، إضافة إلى خاصية معينة في الدفن ممثلة في الوضعية المنطوية والجنينية وما تحمله من خصوصية تجعل انتشارها ليس محض صدفة بقدر ما هو انتشار من ثقافة إلى أخرى.

لقد اقترنت ظاهرة الموت بوجود الإنسان، وعمليا لا يوجد أي مجتمع قدم أهمل أمواته أو تركهم دون طقوس، وحتى الذين نعتقد أنهم أهملوا أمواتهم وألقوا بهم في البحر كما الحال مع شعب الكوريك شرق سيبريا فهم يقومون بهذا لاعتقادهم في المحيط وليس إهمالا لموتاهم<sup>1</sup>

فإذا كان الدفن ظاهرة كونية، حاكي فيها الإنسان الحيوان<sup>2</sup> فهو يختلف من ثقافة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر، ويتميز بما يلحقه من بناء ومتاع وطقوس.

لذلك نقسم مبحثنا هذا إلى مطلبين تتناول عناصر بارزة من ثقافة أصحاب الجدر وبعدها الحضاري لدى الشعوب الأخرى.

1. Edgar Morin, L'homme et la mort, Édition du Seuil, 2<sup>e</sup> Édition. 1970, p33

2. يذكر القرآن كيف أن أول إنسان قتل وهو هابيل دفنه أخوه قابيل إقتداء بصنيع الغراب، في سورة المائدة الآية رقم 31 (فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ)

المطلب الأول: الخلود و الخوف من الأموات

إن ما يميز الجدر هي تلك الحجارة الكثيرة المكدسة فوق الميت والتي بقدر ما هي ( تحميه من الحيوانات المفترسة، وتحفظ جثته لاستدامة حياته)<sup>1</sup> بقدر ما تحمل من خوف الأحياء من الأموات حينما يهيلون عليهم التراب وينقروهم بالحجارة الكثيرة خوف رجوعهم حتى لا يفسدوا عليهم حياتهم.

وللتأكد من عدم رجوع الميت عمد البربر الأقدمون كما مرّ معنا بتقييد الميت بل ووضعها في كيس من الجلد حتى لا يقوى على الحركة والقيام<sup>2</sup> وفي تصفحنا لعادات الدفن في هذه الجدر نجد بعض الجثث يحفر لها في بئر صغيرة بعمق مترين وتوضع منطوية أو منكمشة ثم يسد البئر بحجارة عريضة ثم يأتي الجدر ليغطي ذلك البئر الصغير،

وفي المقابل وليس بعيدا عن الموقع الذي رأينا فيه هذه الطريقة، وضعت الجثة على مستوى سطح الأرض وبالتقرب من الحائط الخارجي للجدر؛ ما جعلنا نستنتج أن هناك من الموتى من يخشون عودتهم وبطشهم فيدفنون بالطريقة الأولى حتى تستحيل عودتهم، في حين؛ من لهم الحظوة ومن لا يخاف من عودتهم بغض النظر عن مصدر عدم الخوف؛ فهم لا يوضعون في باطن الأرض بل يكفي وضع الجدر فوقهم لحفظ جثثهم وتركها تتفسخ بعيدا عن الأنظار، وعن الحيوانات المفترسة.

1. Edgar Morin, Op.cit, p33.

2. Camps (G), Aux origines ... Op.cit, p471-472.

لقد تاق الإنسان إلى الخلود منذ خلق؛ فهذا آدم ومن خلال الديانات السماوية ينزل إلى الأرض بسبب تطلُّعه إلى الخلود فقد دلَّه الشيطان على شجرة الخلد ليأكل منها وقد نهي عن ذلك.

ويبحث كلكامش عن الخلود بعد وفاة صديقه أنكيديو فيغامر في بحثه ويسأل أتو نيشتم كيف نال الخلود، فيدله بدوره على شجرة للخلد، أو عمل تجتمع لأجله الآلهة فتمنحه الخلود بدوره، وفي آخر المطاف يعود خائبا ولا ينال خلودا<sup>1</sup>.

ويتحایل الفراعنة على الموت فيجعلونه انتقالا إلى عالم آخر تحت الأرض فيه ملكه وشعبه، فيزودون الميت بما يحتاجه من مأكّل وملبس ويودعونه في طقوس كثيرة تألفت منها الحضارة المصرية<sup>2</sup>.

ويرمم الصينيون ما فقد من الجسم اعتقادا في حياة أخرى يخلد فيها الإنسان فوجب عندهم أن يكون في كامل أعضائه، فحتى مخصيو القصر تعاد لهم أعضاؤهم المحبوبة والتي حنّطت في مكان تنتظر لحظة الوفاة، وقد يستعيضون بأعضاء من الفخار في حالة عدم وجود الأعضاء الطبيعية؛ كل هذا اعتقادا منهم في حياة في عالم مواز تحت أرض بلاد الصين الحالية مباشرة، ومثالها في جميع التفاصيل ، ويسري عليها حكم إمبراطوري كما يسري على الصين فوق

1. طه باقر، ملحمة كلكامش، موفم للنشر، الجزائر 1995.

2. خزعل الماجدي، الدين المصري، دار الشروق، ط1، عمان الاردن 1999 ، كتاب يتحدث في مجمله عن معبودات المصريين واعتقادهم

الأرض، بل لقد كانوا يرسلون براءات التشريفات الإمبراطورية إلى عالم الأموات حتى تستفيد عائلاتهم في عالم الأموات من امتيازات التشريفات<sup>1</sup>.

والكثير من الحضارات الغابرة تعلقت بفكرة خلود الأموات تسليية لها واحتقاراً للموت، لأن كل إنسان ينظر نفسه في صورة من يدفنه لذلك وجب تسليية النفس بالخلود، والطمع في حياة أخرى.

وفي مقابل نظرة الخلود هناك خوف من عودة الأموات إلى الأحياء يعاقبونهم ويفسدون عليهم حياتهم،

لذلك رأينا لدى البربر تلك الحجارة الكثيرة كما رأينا الربط الذي يمارسونه على جثة الميت بل وكيف أنهم يضعون أمواتهم في أكياس من الجلد قبل دفنهم في وسطها<sup>2</sup>، في حين تعمد شعوب إقيانوسيا إلى طريقة أخرى تضمن بها عدم لحاق الميت بهم بعد دفنه حيث (يكسرون أعضاء الميت السفلى حتى يتعذر عليه الخروج من القبر والجري وراء دافنيه)<sup>3</sup> وفي (جزر الأندمان ، وبعد الموت، يخل الأهلالي القرية لمدة شهور، ويعلقون علامة من أوراق الشجر، لتدل الغريب على أن هناك خطراً، ولا يعودون إلا حينما تتحلل الجثة وتنقى العظام، عندها فقط تبدأ

1. رالف لنتون، شجرة الحضارة، موفم للنشر، الجزائر. 1999، ج.3 ص ص 388-389.

2. Camps (G), Aux origines ..., Op.cit, p470

3. A. PELKIN, les aborigènes Australiens, N.R.F Gallimard Paris 1968, p389



مراسيم العزاء<sup>1</sup> وتقوم شعوب دياك بماليزيا (بوضع جثة الميت في وسط أربع طرق حتى لا يتسنى لها العودة مع الطريق)<sup>2</sup> الصحيح الذي سلكه الأحياء، وتضمن شعوب من غنيا عدم ملاحقة الأموات لها من خلال دفنها لأمواتها من وراء النهر<sup>3</sup>

وبذلك انصهرت رغبة الخلود للأحباب وللأحياء الذين سيموتون ذات يوم مع الخوف القاتل من الأموات لتشكّل بهذا الإنصهار طقوس كثيرة كانت لدى البربر الأقدمين الكثير منها.

### المطلب الثاني: داخل القبر امتداد كوني

سأحاول في هذا المطلب نقل بعض الصور عن الثقافات الأخرى القريبة والبعيدة والتي تجعل المنطلقات الأساسية في تفكير الإنسان واحدة ليس في التفكير فحسب بل وكذلك من خلال ممارسات إيجابية وطقوس خفية ترجع به إلى زمنه الأول، و تخلع عنه رداء الاختلاف والتنافر لتدعوه إلى التوحد أمام فطرة الإنسان الأولى وخوفه الأول.

فالتصور الأول للموت جعل المصريين (يعتقدون بوجود كائنين روحانيين على الأقل يتصلان بالفرد ولعل أكثر هذه الكائنات وضوحا هي "الكا" التي تعتبر قرينة الإنسان، ومن هنا

1. Edgar Morin, L'Homme et la mort, Op.cit, p 37

2. S. Freud, Totem et tabou, pbp, Paris 1981, p72

3. Edgar Morin, L'Homme et la mort, Op.cit, p 130

نشأت عادة تحنيط الموتى، ووضع تماثيل للميت في قبره تحمل فيه "الكاء" في حالة فقد الجسد وكائن "الكاء" تعيش في القبر وتتغذى على القرابين ..<sup>1</sup>

(وقبل أن يقفل القبر على الجثة المخبطة كانت توضع فيه مقتنيات الميت الشخصية من أسلحة وملابس ومرايا وغيرها)<sup>2</sup> ولم يكن هذا خاصا بالمصريين فقط بل تعداه إلى كل من جاورهم من الحضارات القديمة بجنوب غرب آسيا فقد (كان موقف سكان جنوب غربي آسيا من موضوع أرواح الموتى يشبه إلى حد كبير ما نشعر به من عدم الإرتياح إزاء الأشباح كانوا يضعون مع الميت بعض ما يملكه حتى يستطيع أن يحصل على احتياجاته في العالم الآخر)<sup>3</sup> ، كما أن سكان جزيرة نياس بأندونيسيا (يصنعون التماثيل ويضعونها في مقدمة جنائز الموتى لاعتقادهم بأن أرواح الموتى هذه لا بد وأن تجلس فيها. وهم ينتظرون خروج تلك الأرواح من التماثيل التي تخرج على شكل عناكب)<sup>4</sup> ، ولنا أن نلاحظ كيف كان العرب الأقدمون يلحقون بالميت في قبره ما كان متعلقا به في حياته وأهم شيء حليته فنستنتج من نبش الصحابة لقبر أبي رغال

1. رالف لنتون، شجرة الحضارة، مرجع سابق ج3 ص 46-47.

2. د.فاضل عبد الواحد، د.عامر سليمان، عادات وتقاليد الشعوب القديمة، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد 1979، ص 243.

3. رالف لنتون، مرجع سابق، ج.2 ص 123.

4. د. إبراهيم الحيدري، إثنولوجيا الفنون التقليدية، دار الحوار، ط1، سورية 1984، ص 138.

واستخراجهم لبعض حليه الذي كان يلبسه<sup>1</sup> أن هذه عادة قديمة متوارثة في جنوب غرب آسيا كما أن الصحابة في ذلك الوقت لم يستغربوا طبيعة هذا الدفن.

وبعدما يستعرض رالف لتون لعادات وضع أغراض الميت بقبيره في كامل الثقافات الإنسانية يقرر أن هذه الأغراض لم توضع فقط لأجل إبعاده (وإنما من أجل قطع صلته بعالم الأحياء حتى لا يفسد عليهم حياتهم)<sup>2</sup>

إننا لا يمكن إلا أن نقول أننا أمام ثقافة إنسانية زودت الموت بطقوس كثيرة غير أن دلالتها واحدة هي انفصال الروح عن الجسد، ففي حضارة البربر رأينا كثرة شقوف الفخار داخل الغرفة الجتزية ومما يمكن أن يدلّ عليه هو نهاية حياة هذا الميت كما الحال مع نهاية الآنية بتكسرها شقوفاً متناثرة، كما قال الشاعر:

إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَرَتْ وَدُهَا  
مِثْلَ الزَّجَاجَةِ كَسَرَهَا لَا يَشْعَبُ

لقد كان للإنسان الوقت الكافي ليتأمل في آنيته التي صنعها بيده أو صنعت له، ثم عاشت قربه، وجواره يضع فيها ما يستمد منه قوته، ويشد به أزره، قد يتوارثها عن أسلافه فتذكره بهم،

1. هذا ما ورد في الحديث المروي في سنن أبي داود، تحت رقم 3090 هذا نصه. "حدثنا يحيى بن معين أخبرنا وهب بن جرير أخبرنا أبي قال سمعتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ يُحَدِّثُ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ عَنْ يَجْزِرَ بْنِ أَبِي بُجَيْرٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو ، يَقُولُ: « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ حِينَ خَرَجْنَا مَعَهُ إِلَى الطَّائِفِ فَمَرَرْنَا بِقَبْرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ، وَكَانَ يَهْدِي هَذَا الْحَرَمَ يَدْفَعُ عَنْهُ، فَلَمَّا خَرَجَ أَصَابَتْهُ النَّقْمَةُ الَّتِي أَصَابَتْ قَوْمَهُ بِهَذَا الْمَكَانِ فَدُفِنَ فِيهِ، وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّهُ دُفِنَ مَعَهُ عُصْنٌ مِنْ ذَهَبٍ، إِنْ أَنْتُمْ نَبَشْتُمْ عَنْهُ أَصَبْتُمُوهُ مَعَهُ. فَابْتَدَرَهُ النَّاسُ فَاسْتَخْرَجُوا الْعُصْنَ». أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، دار إحياء التراث العربي، ط(بدون)، بيروت تاريخ(بدون)، ج3ص141.

2. رالف لتون، مرجع سابق، ج1ص318.

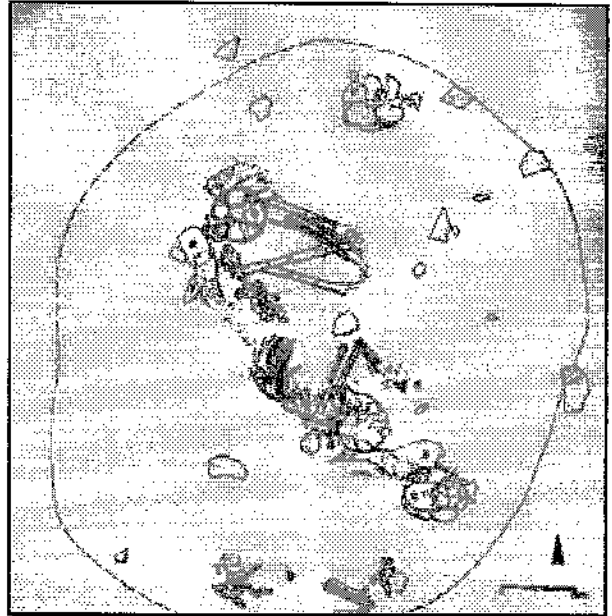
وقد يُحدّد من عمرها فتتكسر محدثة ألما وحسرة، لقد شأمت هذه الآنية إمتداد الإنسان في الزمان، فكانت إمتدادا في الزمان والمكان، لقد قاسمت معه الحياة فلمّا لا تشاطر شقوفها المتطيرة المماة. بل لقد فدته في الكثير من المرات من مخالب الموت فماتت بدلا عنه وأذهب تكسرها شرّا مستطيرا، ألا ترى كيف تخفف الأم من حسرتها إذا ما تكسرت آنية فتربطها بذهاب النحاس، وترى التاجر يسارع إلى جمع حطام ما تشقف مرددا حصل خيرا، حصل خيرا!

لقد تجسدت هذه الرابطة في كل الحضارات، فجسدتها مواضيع الفنون المختلفة، ففي حديثه عن (المواضيع الجعرية، les thèmes macabres) - هذا الفن الجنائزي المختص بوصف الإنسان من الإحتضار إلى تحلل الجثة - يصف فليب آري كيف أن رقة الحياة وتهديد الموت أوحى للفنانين الرومان نحت هيكل عظمي فوق كأس شراب من البرونز<sup>1</sup>، تدليلا على هذه التلازمية بين الأواني والموت كما الحياة.

ولا زالت البحوث الإثنوغرافية تزودنا بالكثير من الآثار الموجودة داخل القبر في كل الثقافات ولدى كل الشعوب حتى في الحضارة الحديثة لازال لاوعي الإنسان تحكمه الكثير من هذه الطقوس والخوف من القبر ومن عالم تحت الأرض، (ففي حضارتنا، حيث نجد نفس الضوء في كل مكان وحيث الضوء الكهربائي في القبو، لم نعد نهبط القبو حاملين شمعة ولكن اللاوعي لا يمكن تمدينه، إنه يصطحب شمعة حين يهبط إلى القبو....[إن في عالم القبو نعلم أن جدران

1. Philippe Ariés, L'homme devant la mort (1-le temps des gisants), Edition Seuil, Paris 1977, p.113

القبور] هي جدران مدفونة، جدران ذات طبقة واحدة يدعمها امتداد الكرة الأرضية كلها<sup>1</sup>، هذا الخوف نابع من خوفنا السابق من الموت والأموات وعالم القبر.



شكل 4: مدفن نيولوتي في الكدادة (a) جمجمة ثور؛ (b) هيكل لكلب محطم جزئياً؛ (c) جرار فخارية؛ (d) شظايا مالاخيت؛ (e) خنجر؛ (f) فأس؛ (g) ألواح ظران مكسرة  
نقلا عن فرانسيس جيوز ، مرجع سابق

فكيف بتصورنا السابق عن الموت، هذا التصور الطفولي الذي رسمه المحللون النفسانيون عن الموت لدى الأطفال هو نفسه الذي لازم الكبار، فقد قررت سيلفيا أنتوني Sylvia

Anthony في بحوثها التي أجرتها حول تصور الأطفال للموت (حسب اعتقاد الأطفال، الأموات يرجعون صغاراً، و يبعثون في شكل رضع)، لينمو حسبها هذا التصور بشكل عفوي لدى الكبار<sup>2</sup> فنجده مجسداً في حضارة البربر في تبنيهم للوضعية الجنينية في دفنهم موتاهم كما مرّ معنا.

1. غاستون باشلار، جماليات المكان، تر. غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط5، بيروت 2000، ص47.

2. Edgar Morin, Op.cit, p 128



صورة لهيكل للإنسان القفصي، ليونال بالو،  
الجزائر في ما قبل التاريخ، تر. محمد  
الصغير غانم. ص 102

حيث نسجل هذه الوضعية في عدة أماكن من المعمورة فإضافة إلى النيجر والسودان نجدتها بالشرق العربي في دولة الإمارات العربية المتحدة بالمكان الأثري المسمى القصيص، (وعند المصريين وجدت الكثير من مقابر فجر التاريخ حيث كان يعتمد على وضعية الجنين في دفن الأموات... وفي حضارات أمريكا، كحضارة الأنكا فإن الدفن حسب ما كشفت عنه الأعمال الأثرية في مدافن

وحضارة هذا الشعب، كان يأخذ فيه المتوفى شكل الجنين، وهذا الدفن نفسه كان يمارسه أهالي جزر أرخبيل سليمان، وفي معظم إفريقيا الغربية فإن الدفن يكون بالوضع الجنيني، فالبوتمان في صحراء كلهاري كانوا يضعون جثمان المتوفى في وضعية جنينية<sup>1</sup>

1. بوساحة أحمد، حقيقة الموت في نظر الديانات، ص ص 113، 114.

ونرى هذه الوضعية في الصورة المأخوذة للإنسان القفصي برمادية عين الذكارة<sup>1</sup> فإضافة

إلى الوضعية الجنينية نشاهد مواقع الخلزون الكثيرة

الموجودة في الصورة والتي تمثل طقوسا متبعة في

الكثير من حضارات العالم (فقد اكتشف عالم

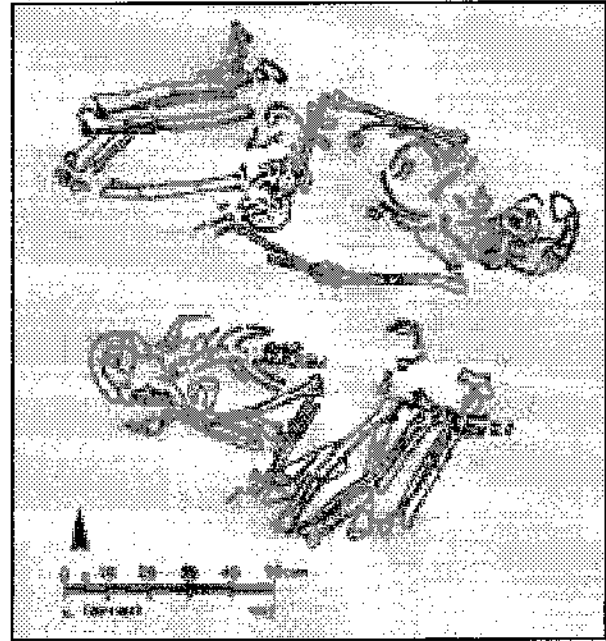
الحفريات في أندر واللوار [فرنسا] قبرا فيه تابوتا

يحتوي على حوالي ثلاثمائة قوقعة موضوعة فوق

الهيكل العظمي من القدم إلى الخصر)<sup>2</sup> ، (ويقول



صورة لجثة في الوضعية الجنينية بموقع القصيص بالإمارات العربية المتحدة  
نقلا عن نشرية سياحية صادرة عن دائرة السياحة والتسويق التجاري لحكومة دبي



وضعية منطوية في جنوب السودان نقلا عن فرانسيس جيوز  
[www.arkamani.org/francis\\_arabic.htm](http://www.arkamani.org/francis_arabic.htm)

بالتوسير أنه حتى العصر الكارلنجي كانت

المقابر تحتوي على قواقع- و[هو] رموز للقبر

الذي سوف يبعث منه الإنسان- وكتب

شاربونيه لاسيه: "كانت المحارة بقوقعتها

1. ليونال بالو، الجزائر في ما قبل التاريخ، تر. محمد الصغير غانم، ط (بدون) دار الهدى، عين مليلة (الجزائر) 2005. ص ص 101، 102.

2. قاستون باشلار، مرجع سابق، ص 120.

الصلبة الحيوان الطري الذي في داخلها هي رمز القدماء إلى الإنسان جسدا وروحا، لقد استعمل القدماء القوقعة كرمز للجسد الإنساني الذي يحيط الروح بغلاف خارجي، بينما الروح التي تنشط الجسد كلة بمثابة الرخوية، ولهذا قالوا إن الجسد يموت عندما تغادره الروح مثل القوقعة التي تتوقف الحركة عندما يغادرها الحيوان الذي يعيش في داخلها"<sup>1</sup> كما أن التشابه بين الوضعية الجنينية والقوقعة في الشكل إضافة إلى ما شاهدناه من المعالم الجترية الهلالية (أو الشبيهة بجذوة الحصان)؛ يضعنا في إطار رمزي عام يتحدث عن الشكل الهلالي وكيف أن الكثير من الشعوب يرمزون إلى البعث والحياة الأخرى بالهلال

فكما يرى مرسيا إلياد (Mercia Eliade) فإن الهلال كثيرا ما يدخل في رمزية العديد من الطقوس والأساطير باعتباره يشكل المرحلة الأولى من بداية ظهور القمر أو ميلاده، ونهاية القمر الذي يعني موته<sup>2</sup>

1. المرجع نفسه، ص 119.

2. Mercia Eliade, traité d'histoire des religions, payot, 1975, p139, نقلا عن: بوساحة أحمد، مرجع سابق، ص 109.



وبين الرمزية المشتركة للقوقعة والهلال وشكل الجنين هناك رمزية خاصة تحملها القوقعة بعيدا عن شكلها ففي ثقافتنا الحالية لازلت تمثل القوقعة الحياة إذ هي ملازمة للطفل، فمنذ ولادته تعتمد الأم إلى تثبيت قوقعة (ودعة)\* في حزامه لا تنفك عنه حتى يكبر، وتورث من بعده لإخوته، ثم لمن يلوهم حتى إذا ما مات



صورة لرضيع بحزامه يحمل إضافة إلى التعاويذ صدفة أو ما تسمى ودعة

صغيرا كانت مما يلحق به في ما سنعرفه في الفصل اللاحق.

\* (الودعة كانت تزين الأوثان القديمة ، وتحمل كتائم فوق الفخذ، وتتخذ لتحد من العين الشريرة، وفي أيامنا هذه، نفس الاستعمال مازال عند الزنوجيات المسلمات في إفريقيا الشمالية، ونجده كذلك لدى الأهالي، في عديد المناطق كان استعمال هذه القواقع الصغيرة يربطها في خصال الأطفال...كلمة ودعة دائما تستعمل للدلالة عليها) نقلا عن:

EDMOND DOUTTÉ, La société Musulmane du Maghrib, Magie et religion dans l'Afrique du Nord, ADOLPHE JOURDAN LIBRAIRE-ÉDITEUR, Alger 1909, p82.

الفصل الثاني

## الفصل الثاني:

جدر بريزينة بين الأسطورة والواقع

### المبحث الأول: النظرة الشعبية للجدر ونقدها

- المطلب الأول: الجدر و الأسطورة
- المطلب الثاني: موقع الجدر في الثقافة الشعبية المحلية

### المبحث الثاني: وصف الجدر وتوزعها ببريزينة

- المطلب الأول: وصف الجدر خارجيا
- المطلب الثاني: وصف داخل الجدر
- المطلب الثالث: مكان تواجدها بمنطقة بريزينة

الفصل الثاني: جدر برزينة بين الأسطورة والواقع:المبحث الأول: النظرة الشعبية للجدد ونقدهاالمطلب الأول: الجدر و الأسطورة

لقد سجل الباحثون السابقون نظرة المجتمع لهذه القبور، فقد سميت في الشرق الجزائري وتونس قبور الجهلاء أو الوثنيين وفي الصحراء سميت بـ "الرجم" (بمعنى حجارة متراكمة) وعند الطوارق نسبوا "الإدبنان" إلى عمالقة جبارين<sup>1</sup> وسميت "بقبور الجهالة" في الجنوب الغربي بمنطقة عين الصفراء<sup>2</sup> كما سميت في أماكن أخرى بـ "الكراكير" وسمي ساكنوها ببني كركر<sup>3</sup> ففي بني ونيف وفي مناطق مجاورة كثيرة تروى أسطورة الكراكير<sup>4</sup> مفادها أن ساكني الجدر موضوع دراستنا كانوا يتخذونها مساكن فإذا ما فقدوا القوت (كركروا) على أنفسهم مسكنهم بإزالة حجرة أعدت لذلك مسبقا فيتهدم البيت على من فيه؛ فيموتون، ففي الأسطورة أن طفلتين كانتا تلعبان معا فقالت ذات يوم إحداها للأخرى أننا سنكركر الليلة، أي نتحر على عادة من فقد قوته، فآلم ذلك صديقتها فأخبرت أهلها الذين يملكون فائضا عن قوتهم، فأعارت أهل صديقتها

1. Camps (G) Aux Origines...Op.cit, p.158 ; Gsell (Ste), Histoire ancienne Op.cit p p.185. 221 ; Reygasse (M), op.cit p.33

2. خليفة بن عمارة، مرجع سابق، ج.1، ص31.

3. طواهرية عبد الله، مرجع سابق، ص20.

4. عبد الرحمن بوزيدة (منسق)، قاموس الأساطير الجزائرية، منشورات المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الإجتماعية والثقافية CRASC، ط(دون)، وهران. 2005، ص 39.

بعض قوتهم فنجوا من مصيرهم المحتوم، ومنذ ذلك اليوم اعتاد الناس على الإستلاف والإستدانة من بعضهم بدل الإنتحار الجماعي المقيت<sup>1</sup>.

وبريزينة نجد نفس الأسطورة إلا أنهم ينسبونها إلى بني عامر، فتسمى بجدار بني عامر، حيث كانوا ينتحرون جماعيا بسبب فقد القوت.

وإلى بني عامر كذلك تنسب كل الأطلال الموجودة بالمنطقة حيث كانت لهم مصائف ومشاتي، استقروا بها ولما كثر عيثهم و بطشهم تدخلت بركة ولي من الأولياء لتطهر البلاد منهم<sup>2</sup>.

فمن هم بنو عامر؟ وهل كان لهم وجود بالمنطقة؟

هم بنو عامر بن زغبة من نسل زغبة الذين دخلوا شمال إفريقيا على عهد المعز بن باديس سنة 442 هـ، وكان بنوا عامر شيعة خالصة لبني عبد الواد منذ أول أمرهم، إذ لما ملك يغمراسن بن زيان تلمسان دخلت زناتة إلى التلول والأرياف كثر عيث المعقل في وطن عبد الواد، فجاء ببني عامر هؤلاء من مجالاتهم بصحراء بني يزيد شرقا وأنزلهم جواره بصحراء تلمسان كيدا للمعقل ومزاحمة لهم، وتبعتهم قبيلة أحميان من بطون بني يزيد فصاروا في عداد بني عامر منذ القرن الثامن الهجري قال الحسن الوزان في وصف إفريقيا ( أهم فرع لهذا الرهط هم بنو عامر

1. المرجع نفسه، ص 39 وينظر كذلك: بوساحة أحمد، حقيقة الموت في نظر الديانات، ص 89.

2. KHALIFA Ben Amara, La saga des Boubekria (1) (ancêtre de Ouled Sidi Cheikh), Histoire et hagiographie du Sud Ouest Algérienne (1) (14<sup>e</sup>, 15<sup>e</sup> et 16<sup>e</sup> Siècles), Librairie DJOUDI MESSAOUD, Oran 2002, p45

المقيمون بتخوم مملكتي تلمسان ووهران، يرحلون إلى تيكورارين\*، ويستأجرهم ملك تلمسان، وهم ذوو شجاعة فائقة وثروة طائلة، عددهم ستة آلاف من أحسن الفرسان وأقواهم عتادا<sup>1</sup> تقوى أمر بني عامر على توالي السنين وتشعبت بطوئهم وانبسطوا في القفار، ينقلبون إليها في المشاتي ويظهرون في التلول في المرباع والمصائف، وأحدثوا القرى العديدة، ... وكانت علاقاتهم بالدول المعاصرة تختلف بحسب المصالح قوة وضعفا، وما يميله ذلك من التحالف أو العداوة. ففي سنة 753هـ لما تغلب السلطان أبو الحسن المريني على تلمسان فر بنو عامر إلى الصحراء وطال مفر شيخهم صغير بن عامر وإخوته في القفار و أبعدها في الحرب، ولما هزم السلطان المريني عبد العزيز أبا حمو الزياني وأتباعه من بني عامر، تبعتهم العساكر المرينية فهزمهم بالدوسن<sup>2</sup>، انتهى أبو حمو وبنو عامر في هزيمتهم إلى مزاب ورجعت العساكر من هنالك فسلكت على قصور بني عامر بالصحراء قبله جبل راشد التي منها ربا ولون سمعون وما إليهما<sup>3</sup> فاتتهبوا وخربوها وعاثوا فيها وانكفوا راجعين إلى تلمسان سنة 771هـ فهدمها<sup>4</sup>، وكانت هذه القصور من إنشاء زناتة<sup>1</sup>،

\* تيكورارين صيغة بربرية تعرب هكذا قورارة نقلا عن ( الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج1 ص 32)

1. الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت 1983، ج 1 ص 51.

2. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار ابن حزم، ط1، بيروت 2003، ج2، ص 2356

3. جبل راشد هو جبال العمور حاليا إمتداد لسلسلة جبل كسال، وربا هي بلدية ربي المعروفة بهذا الاسم لهذا العهد تبعد بـ 80 كم عن بريزينة، ولون سمعون هي تصحيف عن بوسمغون المدينة المعروفة بالمنطقة.

4. ابن خلدون، المصدر نفسه، ج 2 ص 2797.

وبعد حروب وخصامات كان بنو عامر أطرافا فيها استتب العرش لأبي حمو موسى الثاني

سنة 1359م، تنازل لهم هذا الأخير عن أرض بين بلعباس، عين تموشنت ووهران سنة 1366 م

بعد ما كانوا قد أقطعوا كامل الجنوب الغربي من قبل ملوك تلمسان<sup>2</sup>، وإنما لتدرك الخطوة التي

كانت لهم لدى أبي حمو موسى الزياني من خلال شعره ونثره فلا يخلو موضع إلا وذكر فيه

مناصريه بني عامر، فبينما كان يوصي ابنه في كتابه "واسطة السلوك" ويقدم له الأمثلة عرض على

ذكر أحلافه من العرب والعجم ولما تحدث عن بني عامر قال: "... وهناك وصل إلينا عربنا بنو

عامر، ولاحت لنا الفتوحات والبشائر"<sup>3</sup>، وفي وصفه لحركته الموفقة واسترداده تلمسان يقول في

قصيدته "جرت أدمعي":

ومن آل إدريس الشريف بن قاسم

تسريلت كردوسين من آل عامر

أسود الوغى من كل ليث ضارم

رجال إذا جيش الوطيس تراهم

ويمر في الفيافي المقفرة والأودية الموحشة عند عودته من عمق الصحراء بعد هزيمته فيقول<sup>4</sup>:

مفر إذا طالت عظام الهزائم

مكر بيوم الحرب لا يشتكي الوقي

وبانت عليه شاحبات الغياهم

إلى أن بدا لي واد زرقون\* أزرقا

1. طواهرية عبد الله، جامع التصنيف في أحوال حاضرة بني ونيف، دار الهدى، ط1، عين مليلة 2006، ص ص32-33.

2. KHALIFA Ben Amara, Op.cit, p.10

3. عبد الجميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني -حياته وأثاره-، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974، ص236.

4. المرجع نفسه، ص 302.

ويخلص إلى من حاز الثناء وهو سقير بن عامر العامري في معركة الفاصلة ملمحا إلى ملاحم

أجداده السابقين من بني هلال فيقول<sup>1</sup>:

فحاز الثنا فيها سقير بن عامر  
كما حاز من قبل ذياب بن غانم

وفي قصيدته "حان الفراق" وهو يستحث أحد الخداة من بني عامر فيقول:

يا نجل عامر سر بنا واطو السرى  
ليلا لعل الدهر يديني متزلي

يا نجل عامر سر غرست النخل في  
أوطانها تجني كطعم السلسل

يا نجل عامر طال قولي أنني  
أحمي الحمى يوم الوغى بالمنصل

يا نجل عامر دارنا مع داركم  
قد عمرت من بعدنا بالحنظل<sup>2</sup>

ويثني على بني عامر كما أثنى على حاشيته من بني عبد الواد فيقول:

فظوبى لعبد الواد عند ازدحامهم  
لقد جدلوا في الحرب كل مزاحم

وجالت خيول العامرية فوقها  
أسود الشرى في موجها المتلاطم<sup>3</sup>

إننا أمام شعرٍ ونثرٍ من أعاد مجد الدولة الزيانية وهذا قليل من الثناء والإهتمام الذي أولاه لحفائمه

بني عامر وكيف بين فضلهم وأكد أياديهم الطولى في مجد دولته فلا عجب أنه كما ذكر

المؤرخون أقطعوا ما شاءوا من أراض وحكّموا فيمن أرادوا.

\* لعل المقصود بهذا الواد هو واد زرقون المعروف والواقع بين بريزينة والأغواط خصوصا وأنها الطريق التي سلكتها جيوش المرينيين أثناء عودتها بعد هزيمتها الزيانيين حيث هدموا القصور التي في طريقهم كما ذكر ذلك ابن خلدون.

1. المرجع نفسه، ص 303.

2. المرجع نفسه، ص 297.

3. المرجع نفسه، ص 305.



فقد كانت لهم ضرائب على أهل المنطقة يقدمونها لهم لقاء حمايتهم ونصرتهم وعدم الإعتداء عليهم<sup>1</sup> وكانت القوافل المارة إلى إقليم توات وإفريقيا الوسطى تقدم لهم الإتاوات، فالجنوب الغربي بهذا كان محمية لبني عامر فلقد كتب ليون الإفريقي (الحسن بن محمد الوزان) الذي زار هذه الناحية وعاش في بلاط تلمسان كما مرّ معنا أن الجنوب الغربي كان إقليما لبني عامر، فقد كان باستطاعة هؤلاء تجهيز ستة آلاف فارس منتظم، بينما ملك تلمسان نفسه، عاهلهم، كان لا يملك سوى ألف فارس يجمعهم من العرب والبدو بأجرة كلما اقتضت الضرورة<sup>2</sup>، ولقد امتدت تأثيراتهم من تسالة، تموشنت ووهران إلى أبعد الجنوب<sup>3</sup>.

وحلال الجزء الأخير من القرن الخامس عشر الميلادي كان بنو عامر قد شرعوا فيما يمكن تسميته بالتملص التدريجي من الجنوب الغربي. فأغلب القبيلة استقر نهائيا في أراضي القطاع الوهراني ومنذ ذلك العهد بدأ التخلي عن أراض بعيدة جدا عن محاور المواصلات الرئيسية، الهدم والتخلي عن البنايات المعزولة (التي مازالت تدعى "أطلال بني عامر")، بيع أراضي الرعي وعبون الماء<sup>4</sup> هذا التخلي المفاجئ أدى بالإعتقاد الموجود لدى سكان مناطق الجنوب الغربي والذي

1. ابن خلدون، مصدر سابق ج.2. ص.2355.

2. الحسن بن محمد الوزان، مصدر سابق، ج 1 ص 51 وينظر كذلك:

KHALIFA Ben Amara, Op.cit, p.41

3. KHALIFA Ben Amara, Op.cit, p.41

4. Ibid, p.42

مفاده أن الشيخ سيدي أحمد المجدوب هو الذي دعا عليهم وأخرجهم من المنطقة ببركة دعوته

فتركوا قصورهم وآثارهم ورحلوا فشئت شملهم ومزقوا كل ممزق...<sup>1</sup>

لقد سجل فلاموند في رحلته من الأبيض سيد الشيخ إلى قورارة وجود بنايات منسوبة

عن جهل لبني عامر بالقرب من البنود<sup>2</sup> في الجنوب الغربي من بريزينة، كما يروى الكثير من

الأساطير عن الحكيمة بنت الخص التي كانت من بني عامر وعاشت في القرن الخامس عشر

الميلادي، ولها بريزينة ثلاث قصور على الأقل<sup>3</sup>.

فخلاصة القول هنا أن بني عامر وُجدوا بالمنطقة في زمن من الأزمان ثم رحلوا فجأة دون

أن يتركوا أي نسب، ماعدا البنايات والآثار التي تنسب إليهم، وكانت هناك دار بالقرب من

مسجد بريزينة العتيق تنسب إليهم وقد هدمت حتى سنة 2005.

### المطلب الثاني: موقع الجدر في الثقافة الشعبية المحلية

لقد رأينا أن المعالم موضوع دراستنا تحكمها الأسطورة في كل الجنوب الغربي إن لم نقل

في كل المغرب العربي، وفي كل مراحل التاريخ.

1. Ibid, p.45

2. G.B.M. FLAMAND, de l'Oranie au Gourara, note de voyage, Augustin CHALLAMEL, Paris 1898, p.24.

3. René BASSET, la légende de BENT EL KHASS, Revue Africaine n° 49 de 1905, OPU. Alger, 1985, pp25-26

فالأسطورة وضعت (لإقامة شبكة من التوافقات أو التناسبات الرمزية بين مختلف

عناصرها على نحو يضمن للمجموعة الإنسجام والاستقرار النسبي)<sup>1</sup>

بمعنى أنها وضعت لأداء وظيفة معينة والإجابة على مجموعة من التساؤلات المتكررة، ومنه

فهي جاءت (لتحقيق حاجات عملية)<sup>2</sup>؛ وجب البحث عنها من خلال تحديد نوع الأسطورة ثم

تتبع تأثيراتها العملية على المجتمع، في الماضي والحاضر.

فلماذا يا ترى نسبت هذه المعالم إلى بني عامر؟

إن ما ذكرناه عن تواجد بني عامر بالمنطقة، وما احتطوه من قصور، وأبنية، وما هياؤه من

عيون، وما هدم لهم، وهدموا خلال حروبهم وغزواتهم، كل هذا جعل الناس تنسب لهم آثارا

بالمنطقة، وفعلا توجد لهم هذه الآثار ولكنها ليست هذه المعالم الجزرية، معالمهم هي تلك القصور

القديمة المهدامة بالقرب من منابع المياه كقصر عين العمارة ببرزينة، وكالقصر الأحمر بالشرية

شمال برزينة بحوالي 40 كم بالقرب من عين الشريعة، وما رآه فلاموند في رحلته إلى قورارة

مرورا بالأبيض سيد الشيخ والبنود، تلك هي آثارهم التي أشكلت على أهل المنطقة فنسبوا كل

ما وقعت عليه أعينهم من أطلال إلى بني عامر، بل ويظنون هذه المعالم الجزرية، مساكن لهم كانوا

يقطنونها حتى إذا ما فقدوا القوت عمدوا إلى نزع حجرة أعدت سلفا كي ينقض البناء على

1. الأسطورة في الأدب الشعبي الجزائري، مخطوط أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة

في الأدب الشعبي، إعداد الطالب: مصطفى أوشاطر، إشراف. أ.د. عكاشة شايف، السنة

الجامعية 2002-2003، مكتبة الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، ص. 99.

2. المرجع نفسه، ص. 97.

رؤوس من فيه<sup>1</sup>، وقد ساعدهم على نسج هذا التصور طريقة الدفن الموجودة لدى أصحاب الجدر، فالعظام المبعثرة، والإتجاهات المختلفة للموتى، ووجود آثار للبناء؛ من أساس وحائط، وعظم البناء وضخامته؛ كل هذه جعلت السكان المحليين يعتقدون أن الموت داهمهم فحاة في مساكنهم فماتوا دون دفن! ثم إنهم أضافوا إلى كون هذه القبور مساكن عظم أجسام بُناها فهم يصفوهم بالجبّارين والعمالقة والجهلاء\* وبني سفاو، والمشركين<sup>2</sup>

وقد مرّ معنا هذا الوصف لدى أغلب جهات المغرب العربي، بل لقد سجّل هذا ابن خلدون في مقدمته وذكر أنّ مثل هذه الآثار تنسبها العامّة إلى عادٍ و إرم ( و أكثر آثار الأقدمين لهذا العهد تسميها العامّة عادية نسبةً إلى قوم عادٍ لتوهمهم أنّ مباني عاد و مصانعهم إنما عظمت لعظم أجسامهم و تضاعف قدرهم. و ليس كذلك، فقد نجد آثاراً كثيرة من آثار الذين تعرف مقادير أجسامهم من الأمم و هي في مثل ذلك العظم أو أعظم)<sup>3</sup> وعلّق عليه في موضع آخر فقال(وربما يتوهم كثير من الناس إذا نظر إلى آثار الأقدمين ومصانعهم العظيمة، مثل إيوان

1. هذا رأي الكثير ممن استطلعنا آراءهم كما أننا نجد هذا الإعتقاد لدى سكان بني ونيف على ما ورد في الكتاب السابق الذكر عن حاضرة بني ونيف لطواهرية عبد الله، ص20.

\* يقصد بالجهلاء في اللغة العامية شدة القوة والبأس وعظم الجسم وليس القصد منهم قلة الفكر والحيلة.

2. Gsell (Ste), Histoire ancienne ...Op.cit, t.6, p221

3. ابن خلدون، مصدر سابق، ج.1، ص261.

كسرى، وأهرام مصر... فيتخيّل لهم أجساما تناسب ذلك أعظم من هذه بكثير، في طولها وقدرها، لتناسب بينها وبين القُدر التي صدرت تلك المباني عنها، ويغفل شأن الهندام والمخال<sup>1</sup> وإضفاء الأسطورية على آثار الأقدمين إذن شيء محب لدى العامة منذ القدم و نسبة العامة عندنا للجدور لقوم جبارين شيء يتسق والتفكير المعتاد لأمثالهم على الأقل منذ أيام ابن خلدون.

فالحاجة كانت ماسة إلى تصنيف هذه المعالم في الثقافة الشعبية، وكيف يمكن لأناس يروحون عليها ويصبحون ويشاهدونها بالمئات بل بالآلاف ثم لا يستطيعون إدراجها ضمن كيان يتفق الجميع على تسميته وماهيته؛ فالأسطورة تتدخل هنا لتكمّل هذا النقص وتشبع الحاجة الثقافية وتلي الفضول العلمي ومن خلال التعامل مع هذه المعالم فإنها تؤدي غرضا آخر ما كان ليتم لولا الأسطورة، هذا الغرض متمثلا في تعامل الناس مع هذه المعالم وكيف أنّهم يستغلونها في حاجاتهم اليومية، فإذا استغلها اليوم عمّال المقالع فقط، فقد كانت في القدم تؤوي القطيع، وتتخذ مستظلا، وتستعمل كمركز مراقبة من قبل المحاربين\*

فبالأسطورة في هذه الحالة لا تريد تفسيراً تاريخياً كما أنّها لا تنوي سرد وقائع وإنما أرادت حلّ إشكال فكري وتقديم إجابة على واقع معيش، كما الحال مع الكثير من الإشكالات التي تطرحها بعض المناظر الطبيعية المعقدة أو الشبيهة بالإنسان أو الحيوان، فتعمل الأسطورة على

1. نفس المصدر، ج.1، ص.261، إضافة إلى ما ورد في ج.1، ص.312.

\* . شاهدنا بعض الجدور اتخذت مركز مراقبة من قبل المجاهدين في الحقبة الإستعمارية، كما وقفنا على بعضها أين استعملت حجارته لبناء زريبة للأغنام والماعز، كما تتخذ مذاودا تعلّف فيها الخيول.

إعطاء تفسير لها يروي الفضول العلمي لدى العامة من ذلك الأسطورة الموجودة بحمام دباغ بقالة والمسمى بحمام المسخوطين، وكيف أنّ زواج المحارم أدى إلى سحق نتج عنه تحجر كل من حضر ذلك العرس، ومثله بريزينة في مكان يسمى ب"العِيَاب" بالقرب من سدّ بريزينة. وكذلك نسمع عن المَرْحُول (القافلة) المسخوط بالبندود، و (بثنية الزِيَار) بالأبيض سيد الشيخ يتمثل الناس أسدا تحجر بعد ما حاول التقرب من الولي الصالح المدعو (سيد الشيخ) عبد القادر بن محمد دفين الأبيض سيد الشيخ،) كما يوجد رجم يسجل بعض محطاته، حيث لازالت آثار أقدام بغلته باقية كبصمات على الصخر، بجوار عين المغسل أين غسل الشيخ بعد موته<sup>1</sup> فيتناقل الناس بالمنطقة أنّه لما طغى الماء طلب منه الولي الصالح ليمر، فتجمّد الماء صخرا فغاصت قدما الدابة، ولحد الساعة هي محل زيارة بعض المؤمنين...

في حين أنّ البعد الآخر للأسطورة يدخل ضمن أسطورة الصيت التي تحاول إحاطة شخصيات خاصة أو مدن معينة بمالة من الغموض والقداسة<sup>2</sup>

فإضفاء القداسة على الولي الصالح سليل أبي بكر الصديق أحمد المجدوب يتطلب في نظر أتباعه مجموعة من الكرامات أو كرامة مميزة، كانت إجلاء بني عامر عن حماهم أكبرها وأعظمها<sup>3</sup>

1. Colonel .C. Trumelet, l'Algérie légendaire en pèlerinage çà et là aux tombeaux des principaux thaumaturge de l'Islam (Tell et Sahara), ADOLPHE JOURDAN LIBRAIRE-ÉDITEUR, Alger 1892, p135

2. صموئيل هنري هوك، منعطف المخيلة البشرية بحث في الأساطير، تر: صبحي حديدي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية 2004، صص 12، 13.

3. Khalifa BENAMARA , Op.cit, p114

إننا من خلال ما مرّ أمام ثلاث حقائق شعبية عن أصحاب هذه القبور، فالأولى نسبة المعالم الكثيرة إلى بني عامر، والثانية نسبة بناها الذين هم بنو عامر بالطبع! إلى الجيروت والجهل، والثالثة هي ما قام به بنو عامر من انتحار جماعي قطع نسلهم وأسكن البلاد غيرهم، فهل نحن أمام تعظيم لهؤلاء القوم وبالتالي تعلق وانتماء؟ أو أمام إستغراب وتحقير وإخراج لهؤلاء القوم عن الطبيعة البشرية المعتدلة إلى أعمال الغيلان والتوحش ومنه نكون أمام دم ولعن وتبرأ؟

إن هذه النقطة الأخيرة والخاصة بالانتحار الجماعي والحزين، هي التي يمكن من خلالها أن نجد الصورة المؤسفة التي يتصور الناس عليها هؤلاء القوم، فهم خارجون من رحمة الله بسبب انتحارهم، وعدم دفنهم يخرجهم عن دائرة الإسلام في نظر العامة، وبالتالي فهم قوم كفار في الثقافة المحلية، فلا أحد بهذا يستطيع أن ينظر إليهم نظرة تواصل وارتباط، بل هي نظرة للآخر البعيد، نظرة للمستقبِح الجهول، للذي لا يُتصور أن يكون أصلاً أو جدّاً، هي نظرة رأيناها سابقاً في تسميتهم في بقاع شتى من الوطن بالوثنيين والجهلاء والجيبارين، وهذا مهما كان أصحاب هذه القبور وبدون تمييز عرقي سواءً أعرباً كانوا أم بربراً.

فقد رأينا في تسمية "بازينة" كيف أنّ أصلها اللغوي لدى الأمازيغ تعني (قبور الوثنيين)<sup>1</sup> لننظر ما تحمله من دلالة عن ساكني هذه القبور! وإن هذه الصورة النمطية عن أصحاب هذه المعالم هي التي أدت إلى التخريب الذي يلحق هذه المعالم في كل مكان، فإذا كان الواحد من العامة لا يجروء على نبش قبر معروف فإنه بسبب اعتقاده حول هذه المعالم لا يتردد في تدميرها



واستعمال حجارها لغرض البناء، فمن جهة هي لقوم مستقبحين، ومن جهة أخرى هي مساكن لا قبورا.

وخلاصة النظرة الشعبية لهذه المعالم أنها نظرة أسطورية لإدراج هذه المعالم ضمن المنظومة الثقافية العامة ومن خلالها تلبية حاجة اجتماعية واقتصادية للمجتمع، بعيدا عن الحقيقة المغيبة.

### المبحث الثاني:

#### وصف الجدر وتوزعها بربزينة

#### المطلب الأول: وصف الجدر خارجيا

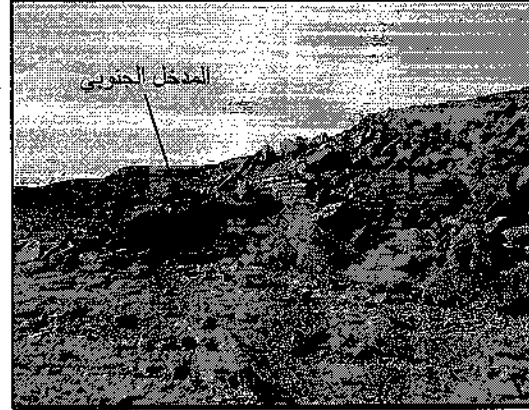
إن ما يغلب على هذه الجدر كوتها مبنية بحجارة مكدسة فوق بعضها البعض دون ملاط ولا وسائل تثبيت كالرصاص وبعض المعادن، ويختلف حجمها من أصغر جدر حيث لا يتعدى قطره المتر الواحد، وينتأ بضع سنتيمترات عن مستوى الأرض إلى جدر ضخم يبلغ قطره عشرين (20) مترا ويصل ارتفاعه إلى الثلاثة أمتار، البعض منها مبني على قاعدة مستطيلة وهو النادر، يحوي مدخلين أحدهما في شمال الجدر والآخر في جنوبه، يغطي المدخلين حجارة عريضة تختلف عن الحجارة المستعملة في البناء، ويبرز المدخلان كجزء زائد عن البناء الرئيس يمثّلان عادة الغرفة الجزئية تستخدم لوضع الأثاث الجزري وتصلح لأن يجلس فيها أقرباء الميت حال زيارتهم للقبر، كما تصلح للنوم والتعبّد<sup>1</sup>

1. رابع لحسن، مرجع سابق، ص ص 246-354.

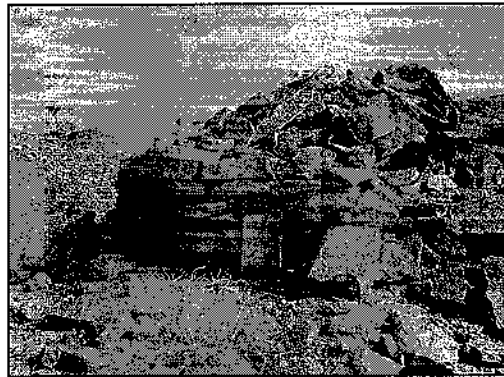




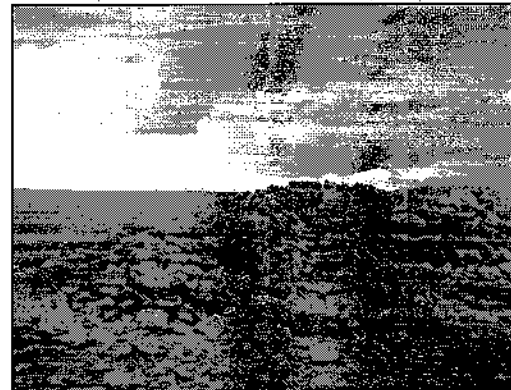
صورة لجدر على قاعدة اسطوانية و بقمة مقببة  
جدر الكحل



جدر على قاعدة اسطوانية يتضح منخله الجنوبي بشكل  
واضح



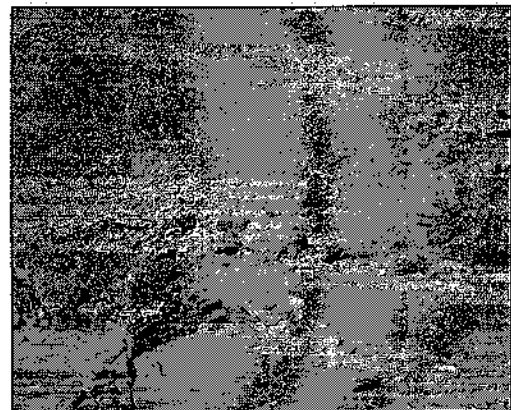
صورة لجدر على قاعدة اسطوانية و بقمة مقببة  
جدر الكحل



صورة لجدر على قاعدة مستطيلة (مسطبة)  
جدر جرابيع



جدر عادي  
بجوار مقبرة سيدي سليمان



جدر يشكل حذوة الحصان  
مجموعة غزالة

ونوع آخر من الجدر يمتاز بكونه مبني على قاعدة اسطوانية محكمة البناء أين نشاهد فيها

تقنية تخالف الحجارة لتماسك البناء، وتعلوه قبة غير منهارة بداخله، كما يعلو بعضهم تجويف

يصل إلى مستوى سطح الأرض، وقد يغطي بعض هذه الجدر بحجرة كبيرة تسد فوهته.



وهناك نوع من الجدر نادر بالمنطقة ولم ألاحظه إلا بمنطقة غزالة ولا يعدو الأربعة جدر

بجوار بعضها البعض، هلالى الشكل، يشبه حذوة الحصان، مجوف من الداخل، يتجه إلى الغرب

والشمال والشرق. وبكثير من الريبة نسجل وجود نوع آخر فريد بمقبرة الشريعة شمال بريزينة أين

تتواجد أساسات عدة بنايات جزئية قديمة بجوار مقبرة إسلامية، وما يشد الإنتباه هو ذلك

الأساس المحكم الشبيه بحدوة الحصان على نسختين إحداهما في الأخرى، لا يرتفع على سطح

الأرض حال جدر غزالة،

ولقد التقطت له صورة لا تعبر عن تناسبه إذ يحتاج حتى يتحدد شكله بدقة إلى منظر من عل،



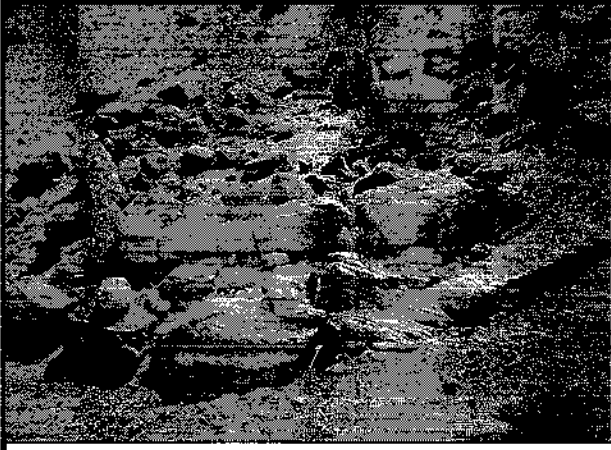
جدر على شكل هلال مزدوج بمقبرة الشريعة - الشريعة -



جدر بمقبرة الشريعة

الشيء الذي لم يتسن لي عند مروري به، كما أن الريبة تكمن في أنه قد يكون جدر عادي

استعملت حجارته بالمقبرة الإسلامية وبقيت أساساته فقط.



جدر على شكل هلال مزدوج  
بمقبرة الشريعة

كما توجد الجدر الكثيرة التي لا شكل لها سوى أنها حجارة مكدسة فوق بعضها البعض وبأحجام متفاوتة، ربما كانت مهذبة الشكل في وقت ما إلا أن عوامل الطبيعة جردتها من شكلها، حتى إنك لتعتقد أنها نهاية تلة، أو جزء طبيعي من الأرض.

وبتحفظ كبير نسجل أن لون الحجارة لا معنى له أو على الأقل هذا ما رأيناه من خلال

العديد من المشاهدات إذ الغالب أن الجدر يحمل لون الحجارة التي تميز المكان.



جدر بحجارة سوداء لتواجدها بمحاذاته

### المطلب الثاني: وصف داخل الجدر

ما تحويه عموما هذه الجدر هو العظام البشرية لأنها في حقيقتها العلمية موجهة إلى الدفن الفردي والجماعي مع اختلاف وتنوع في طبيعة الدفن، فوصفنا محتويات هذه

الجدر ينطلق من روايات الكثير ممن نبشوا هذه الجدر من أهل المنطقة لاستخدام حجارها لغرض البناء ... كما مرّ معنا في الحديث عن الأثاث الجتري، فقد شكلت الهياكل العظمية وعظام القرابين الحيوانية، وشقوف الفخار، والأواني، والحلي؛ مجمل هذه الموجودات تحت هذه الجدر، وتكاد الرواية الشفهية بالمنطقة لا تخرج عن هذا الإطار إضافة إلى الوضعيات المختلفة للميت واختلاف موقعه تحت الجدر، هذه الوضعيات هي التي أدت إلى ترسيخ رؤية المجتمع لهذه القبور، وتعميق الرواية الشعبية السائدة عن أهل هذه القبور، بل وطبيعتها في حد ذاتها.

لقد رأينا أن هذه المعالم كانت محل دراسة العديد من الباحثين في الفترة الإستعمارية خصوصا، ومعظم ما سُجل في هذه الفترة وفي الفترات اللاحقة عن المتاع الجتري والموجودات داخل هذه الجدر نلخصه في النقاط التالية:

- الميت ممد في الوضعية العادية التي نعرفها الآن، سواء على جنبه الأيمن أو الأيسر، أو على ظهره، ورغم أن الباحثين رأوا ندرة وجود هذه الوضعية الأخيرة في مدافن فجر التاريخ<sup>1</sup> إلا أننا نقلنا خلال مقابلتنا للكثير من الذين عملوا في المقالع وجود هذه الوضعية بكثرة.
- الميت في الوضعية المنطوية أين يوضع على أحد جنبيه و تتنى أطرافه السفلى إلى بطنه، وتلتصق أطرافه العليا بصدرة متجهة إلى بطنه<sup>2</sup>.

1. Gsell (Ste), Histoire ancienne ... Op.cit, t.6, p.215

2. Ibid, t.6, p.209

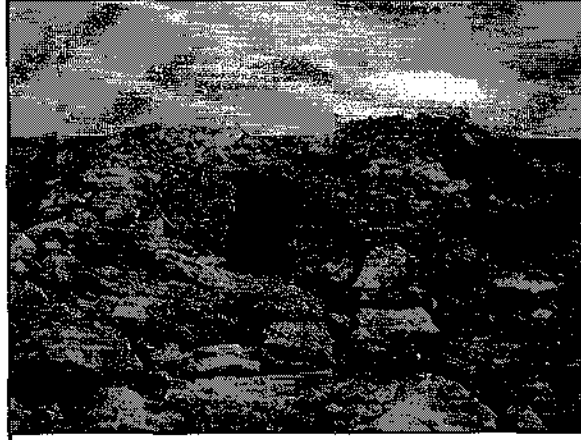
- الوضعية المنكمشة (أو الوضعية الجنينية)<sup>1</sup>، هي حالة من الوضعية المنطوية غير أنها مميزة عنها، حيث يكون اليدين أكثر التصاقا بالصدر وتلامس الركبتان الوجه ويتصل العقبين بعظم الحوض في شكل يشبه الجنين في بطن أمه<sup>2</sup>.
- وضع الأواني الفخارية و شقوف الأواني الفخارية والمعادن والأسلحة والحلي وعظام الحيوانات وقشور بيض النعام<sup>3</sup>
- وجود لوحات حجرية بأحجام صغيرة مرسوم عليها بالألوان أحصنة و نعام وأناس مسلحون بالرماح، وفي بعضها صورت أوان فخارية.

1. خليفة بن عمار، لمحة عن الجنوب الغربي الجزائري الأعلى من الأصول إلى ظهور الإسلام، مطبعة الغرب، ط1، سنة (بدون)، الجزائر، ج.1، ص32.

2. Camps (G), Aux Origines...Op.cit p472-474.

3. Gsell (Ste), Les monuments Antiques de l'Algérie. Paris,1901.p2-3

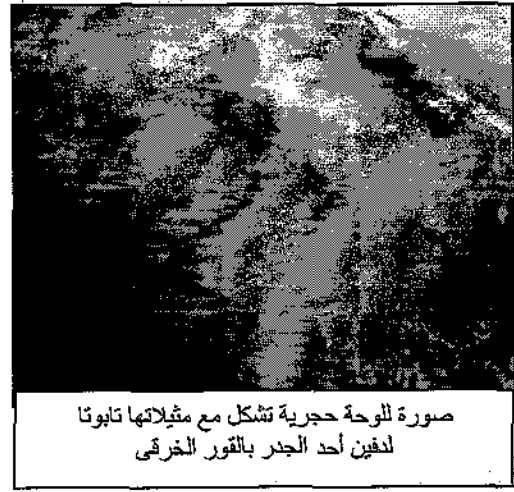
وينظر: خليفة بن عمار، مرجع سابق، ج1، ص32. وينظر كذلك: الموقع المشار إليه سابقا [www.irid.fr/bani](http://www.irid.fr/bani)



الجدر الذي وُجدت به اللوحات الحجرية (عليه آثار التخريب)  
القور الخرقى



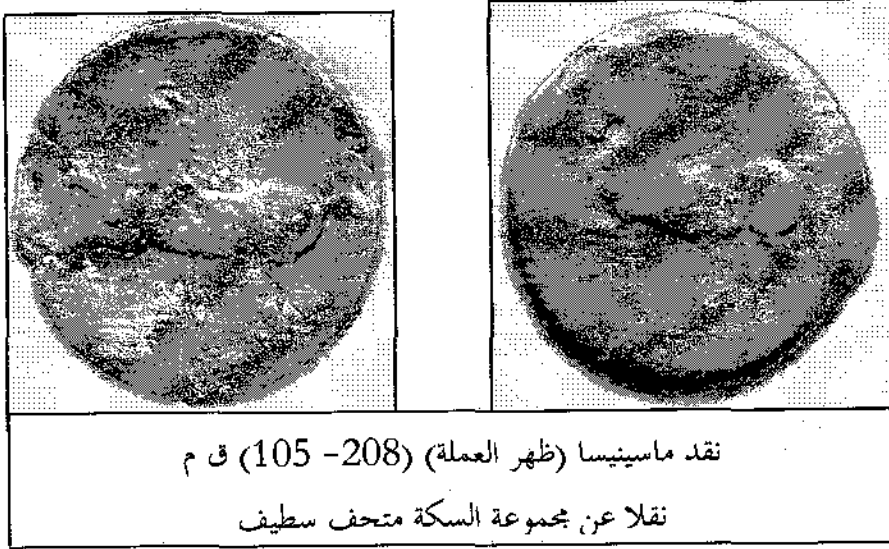
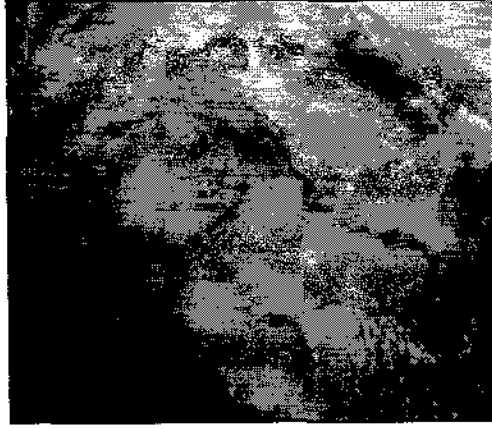
أنية مكسرة وُجدت بأحد الجدر بعين العمارة  
من قبل عمال المقالع



صورة للوحة حجرية تشكل مع مثيلاتها تابوتا  
لدفين أحد الجدر بالقور الخرقى

فقد وجد عمال المقالع بـ "القور الخرقى" جنوب "أم المي" تابوتا من الألواح الحجرية مكونا من أربعة عشر لوحا على الأقل تتناول عدة موضوعات كالإنسان وأوانيه والحصان وألوانه والصيد بأنواعه، وقد إختفت هذه الألواح ولم تبق إلا اللوحة التي قمت بتصويرها بمقر البلدية.

وتجدر الإشارة في هذا المقام أنه ليس بغريب وجود هذه الألواح الحجرية كما رأينا في مطلب سابق، ونستطيع القول أن هذه الألواح هي الرابط الوحيد الذي نملكه لنضع علاقة قوية بين أصحاب الجدر وبين الرسومات الصخرية الموجودة بالمنطقة.



نقد ماسينيسا (ظهر العملة) (208 - 105) ق م  
نقلا عن مجموعة السكة متحف سطيف

### المطلب الثالث: مكان تواجدها بمنطقة بريزينة

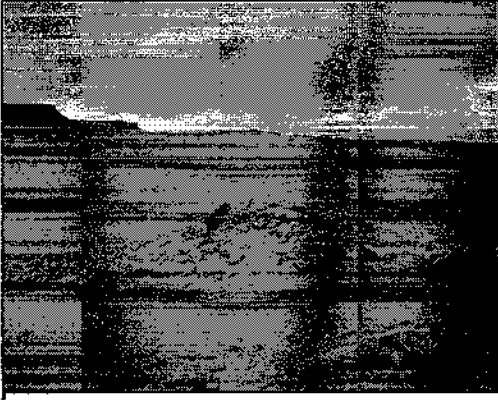
إذا اختصرنا فإننا سنقول إنها لا تخلو منطقة من بريزينة من "الجدر" فهي منتشرة في كل مكان، وعدم رؤيتها لها لا يعني عدم وجودها بل ببساطة لقد تم تدميرها و إستفراغ حجارها لأغراض البناء والري!!

ولكن عموما وحسب مشاهداتنا الكثيرة فالجدر متواجدة حيثما توفرت الحجارة، ففي أعلى قمة جبل غزالة ثمة جدر؛ وفي كل السلاسل الجبلية توجد جدر؛ كما توجد على ضفاف الأودية، وفي القارات، والرق، وتندر قرب العرق.



وتراود بعض السكان المحليين فكرة تواجد هذه الجدر في الأماكن العالية والمرتفعة، دون المنبسطة، وتفسيرهم لهذا أن الماء كان يغمر الكثير من الأرض بهذه المنطقة مما يضطر إنسان ذلك الوقت إقامة هذه الجدر في الأعالي خوفا من الماء فمُحمّد بعض أعيان هذه البلدة يقول -وبعض النظر عن مفهومه لهذه الجدر إذ يعتقدونها كما المفهوم الشعبي مساكن لا قبور- "... لقد اضطر سكان بني عامر أن ينوا بيوتهم "الجدر" في الأماكن العالية حيث لا وجود للماء؛ الذي كان يغمر الكثير من هذه الأرض..."

غير أنه وبالملاحظة نجد الكثير من الجدر المتواجدة على مناطق منبسطة كما الحال في جرابيع أين هناك جدر تحت مستوى بقية الجدر وبالذات في المنطقة التي يتراءى أنها كانت مغمورة بالماء، والأمر مشاهد بوضوح لجدر منطقة بن دلة، ونفس الشيء يقال عن الجدر بمنطقة غزالة قريبا من المنبع أين تكاد الجدر أن تكون بممر الواد، وهناك الكثير من المشاهدات التي تجعل الحديث عن المرتفع والمنخفض في وضع هذه المعالم بعيدا عن فكرة تواجد المياه، بل حسب حجم الجدر وطبيعة بنائها لا يمكن وضع معلم أدنى و أعلى، فالعلو والانخفاض ليس ذا بعد قيمي أو ذا دلالة على المتزلة والرفعة، فكثير من الجدر الكبيرة والعظيمة تكون تحت مستوى جدر تافهة وصغيرة، فحسب ملاحظتنا فإن الأرض لوحدها ليست ذات دلالة على المكانة الاجتماعية لدى أصحاب الجدر، والفيصل في هذا أن الجدر تقترب من الأماكن التي فيها حجارة مهما كانت جودتها.



جدر أسفل الهضبة التي تحوي أغلب الجدر  
جدر جرابيع

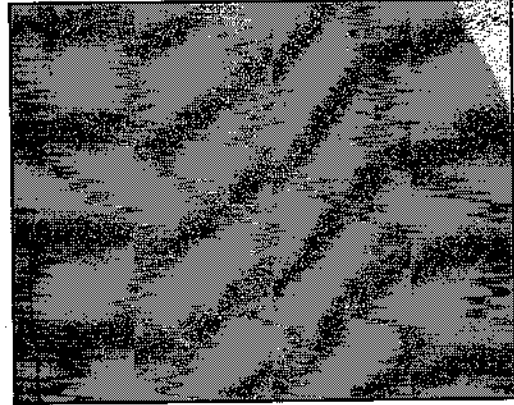
هذا بصفة عامة عن توزع الجدر أما إذا أردنا  
وضع خريطة عن أهم المحطات والمناطق التي تتواجد  
بها فهي:

### 1. مجموعة جدر غزالة: تقع غزالة في شمال

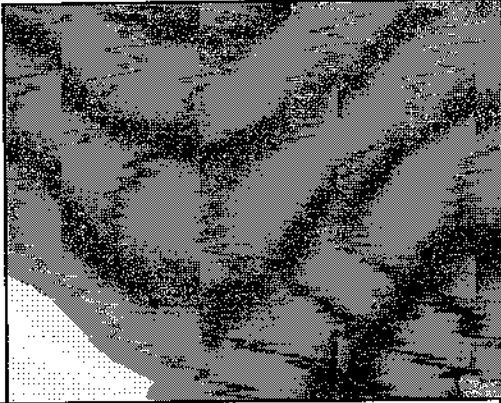
شرق بريزية وهي سلسلة جبلية تنتمي إلى سلسلة الأطلس الصحراوي تمتد من قرية  
السعدانة إلى قمة جبل غزالة، تبعد عن مقر البلدية بحوالي 20 كلم بها الكثير من  
الموجودات الأثرية كالمغارات والرسومات



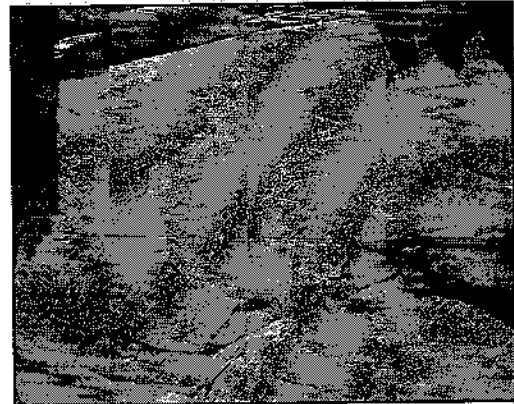
رسومات صخرية  
محطة غزالة



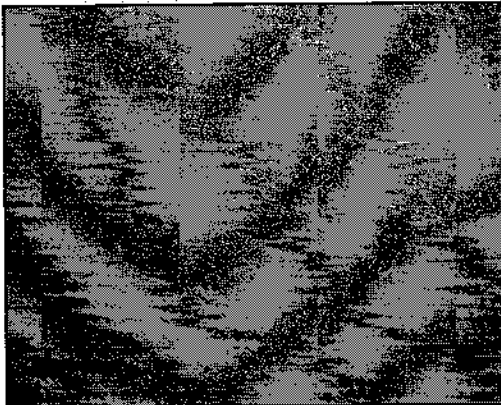
رسومات صخرية  
محطة غزالة



صور صخرية  
غزالة (بالقرب من السعدانة)



رسومات صخرية  
محطة غزالة



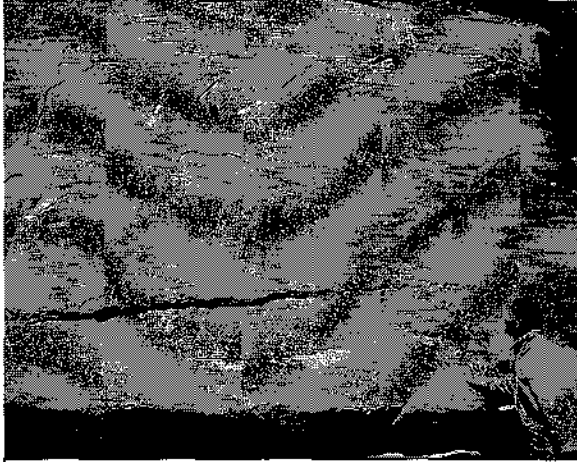
صور صخرية  
غزالة (بالقرب من السعدانة)



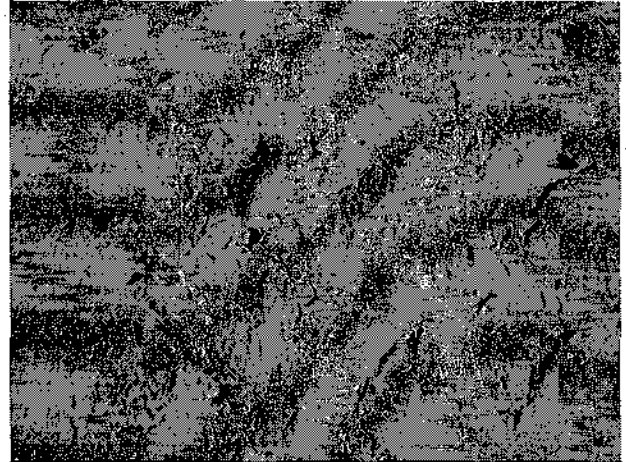
صور صخرية  
غزالة (بالقرب من السعدانة)

الصخرية وكذلك الصناعات الحجرية ننقل هنا بعض هذه الآثار التي تظهر لأول مرة، كما

أما تعتبر قرية نسيبا لمنطقة الشريعة والفرع والمزيد أين نسجل تواجد الكثير من الرسومات الصخرية بمحطات معروفة لدى الباحثين<sup>1</sup> إضافة إليها نسجل رسومات تظهر دائما لأول مرة كما الحال مع كبشي الفرع وكبش وفيل "الموارد" بالقرب من الشريعة،



صورة لكبش بالشريعة يحمل فوق رأسه قرصا كباقي رسومات المنطقة



أثار أقدام الدينصور بضاية الجبل بالقرب من الشريعة ببرزينة



صورة لكبشين بالفرع أحدهما يحمل فوق رأسه قرصا كباقي رسومات المنطقة

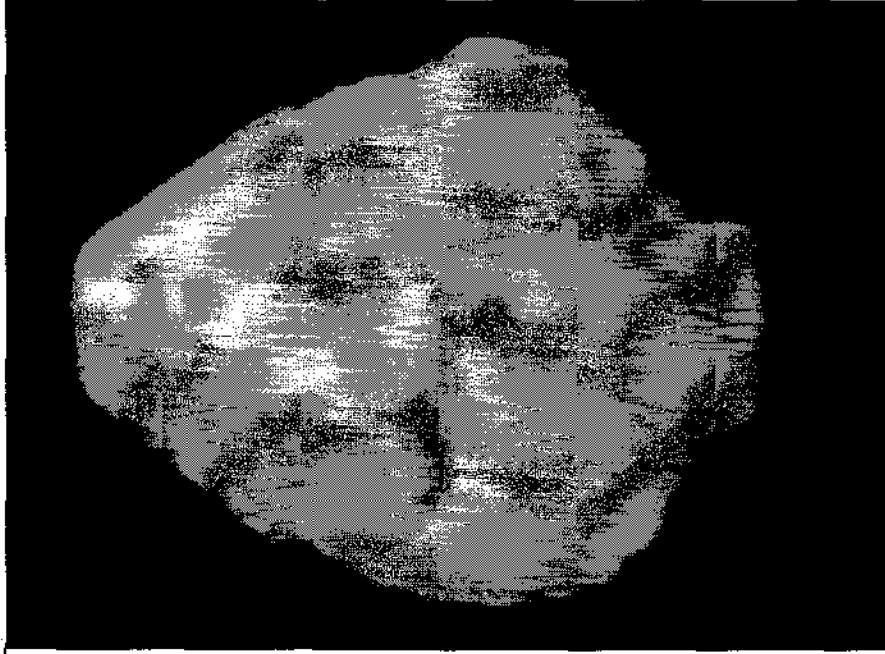


صورة لفيل ضخم بالشريعة

1. Roubert F.E 1967, « nouvelles gravures rupestres du sud de l'Atlas Saharienne (Station du Méandre près de Brézina) dans : Lybica XV. Pp 169-205. et voir aussi : FLAMANDE (G.B.M) 1921. les pierres écrites (HADJRET MAKTOUBA), Gravures et inscriptions rupestres du Nord Africain, Paris, Masson.

كما أسجل تواجد صناعة عاترية ممثلة في سهم منحوت من الصوان في غاية الإتقان وجدته

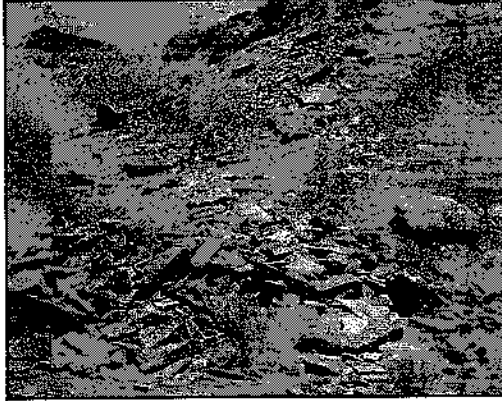
بالقرب من الشريعة (بحجر اللحم)، شبيه بأخر وجدته بمنطقة الكحل.



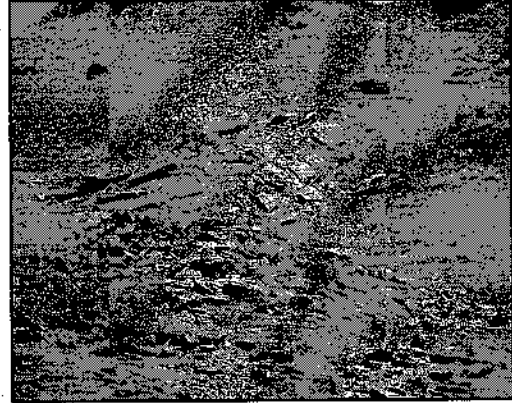
سهم وجدته بحجر اللحم بالقرب من الرسوم الصخرية  
منطقة الشريعة

تتواجد بهذه المنطقة الكثير من الجدر وقد ساعد على ذلك توفر الحجارة بشكل كبير و

أغلب جدرها عبارة عن بازيينات بدائية لا تنتظم في شكل فني بقدر ما هي عبارة عن



صورة لجدر عادي  
جدر غزالة



صورة لجدر عادي  
جدر غزالة

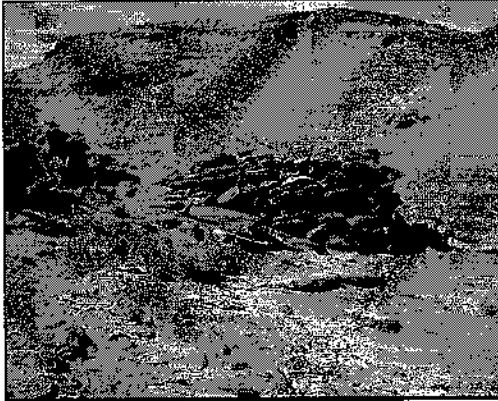


صورة لجدر عادي  
منظر من مغارة استخدمت كماوى  
جدر غزالة

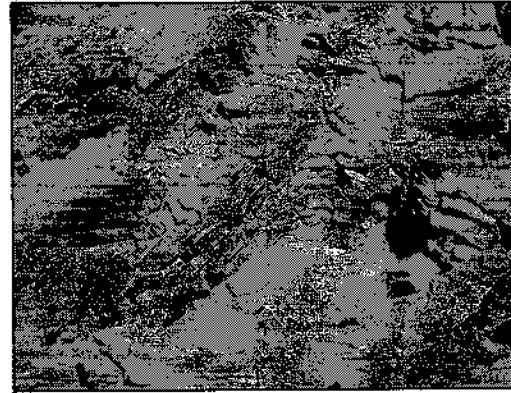
حجارة مكدسة فوق بعضها البعض. غير أن ما يميز هذه المنطقة هو وجود ثلاثة جدر مختلفة

كلية عن بقية الجدر الموجودة وعن ما في المنطقة عامة وهي جدر على شكل حدوة الحصان

متجهة نحو الغرب ونحو الشمال، سألت الكثير ممن عاشروا المنطقة عنها ولكنهم لم يدركوا كنه هذه المعالم ولا كان لهم بها سابق رؤية في أي جهة، كما أنهم لا يدرون ما الغرض منها ولما تستعمل. وقد سجل موريس ريفاس تواجد مثل هذه الجدر بمنطقة الأهقار<sup>1</sup>



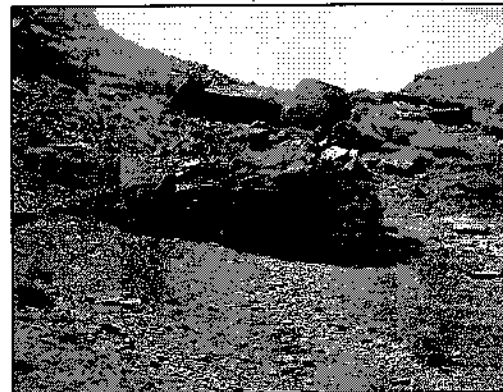
صورة لجدر على شكل حنوة الحصان  
جدر غزالة



صورة لجدر على شكل حنوة الحصان  
جدر غزالة



صورة لجدر على شكل حنوة الحصان  
جدر غزالة



صورة لجدر على شكل حنوة الحصان  
جدر غزالة

2. مجموعة جرابيع (جربوعة): تقع جرابيع جنوب غرب بريزينة بعيدة نسبيا عن

التجمعات الحضرية مما جعلها تحافظ على سلامة موجوداتها وهي عبارة عن رق كبير

1. Reygasse Maurice, Op.cit, p39

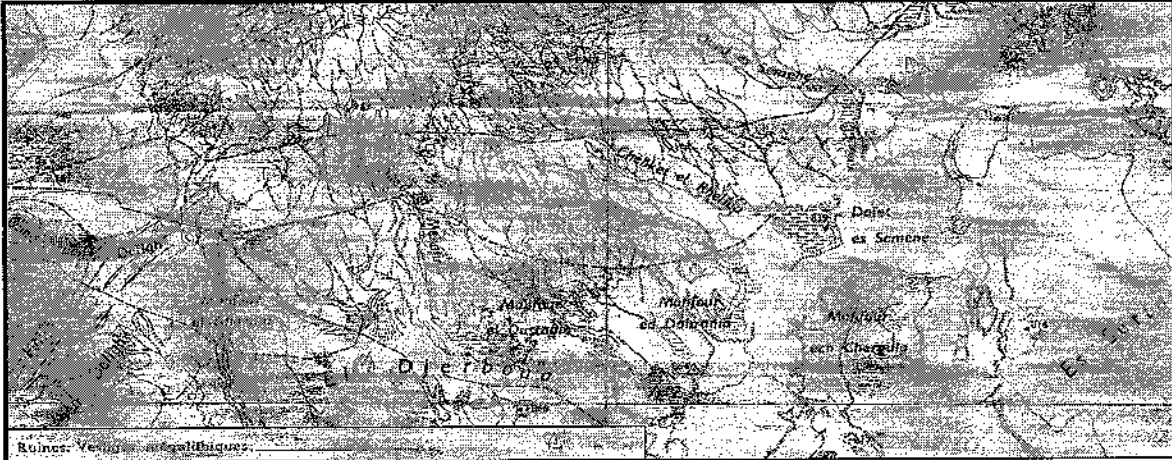
تتخلله منخفضات تسمى عند أهل المنطقة بالمحفورات، كما تحوي العديد من القارات،  
ونصطلح على هذه الجدر مجموعة جرابيع غير أن امتدادَ تواجدِ هذه الجدر سيشمل ما  
عائناه من جدر من (قارة بالابيض) حتى (القور الخرفي) مرورا بـ(فَسْ) و(الزَّبُوجْ)،  
تتميز هذه المجموعة بكثرتها وضخامتها وفضاضة حجارتهما كون الحجارة المستخدمة  
حجارة كلسية رديئة.



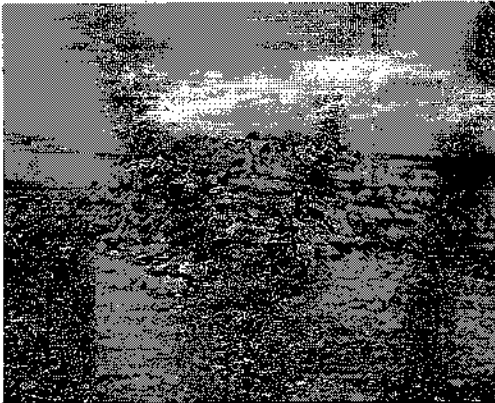
كما تتميز هذه المجموعة بكثرتها وتواجدها على حافة الرق أين تطل على أراض منخفضة

لعل ذلك بسبب ما توفره تلك الحواف من حجارة، جدر ضخمة أقطارها متفاوتة لتصل

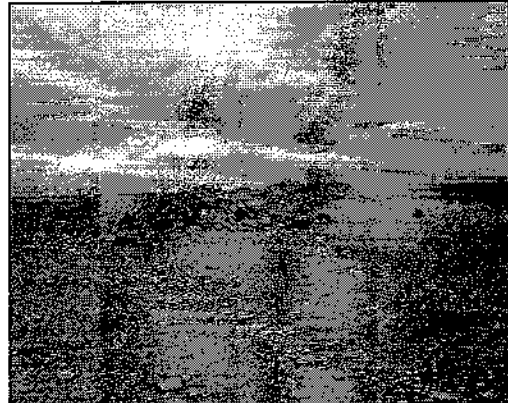
حتى إلى 20م، أغلبها على قاعدة أسطوانية، مهدمة الوسط كباقي الجدر، وتتميز في هذه



خارطة لجريوة تتوضح عليها الجدر على أنها آثار ميقاليتية (خارطة الحالة العامة لبرزينة 1956)



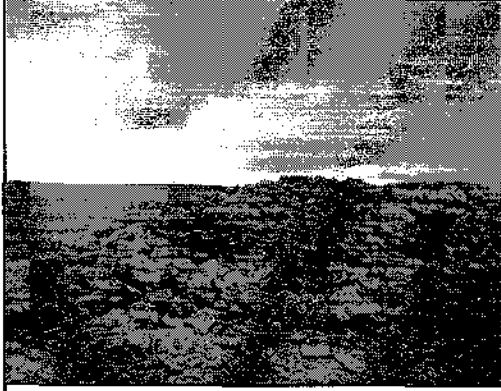
جدر جرابيع



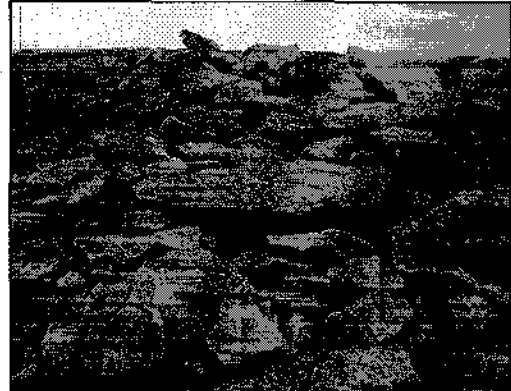
جدر جرابيع

المجموعة جدران أحدهما بني على مسطبة مازالت أركانها الأربعة واضحة المعالم رغم التهدم

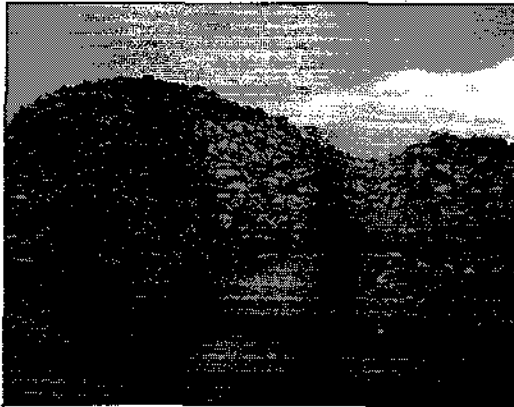
الذي أصابها. والثاني وهو على مستوى منخفض منه وبالقرب من الكهف المثقوب مبني على



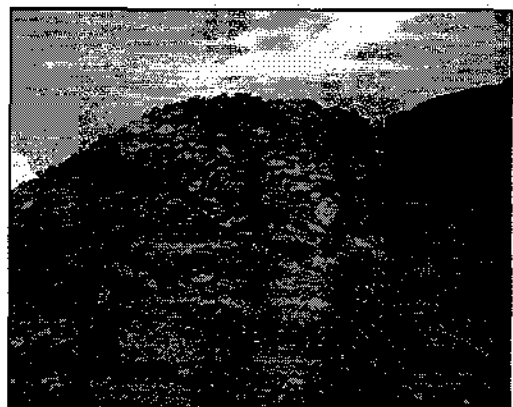
صورة لجدر على قاعدة مستطبة (مسطبة)  
جدر جرابيع



جدر جرابيع



جدر علة قاعدة أسطوانية  
جدر جرابيع

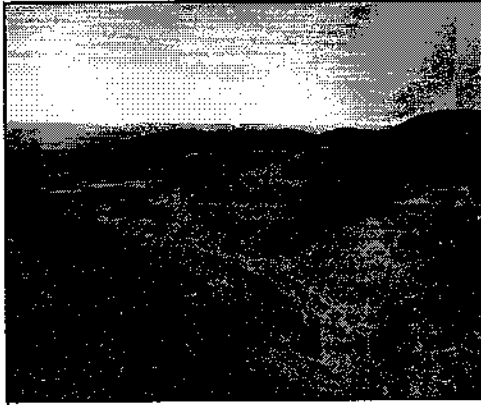


جدر علة قاعدة أسطوانية  
جدر جرابيع

شكل مخروطي على قاعدة اسطوانية لا زال يحافظ على تراص بنائه وتناسق شكله.

3. مجموعة جدران الكحل: تقع الكحل على بعد 23 كم من بلدية بريزينة، وهي عبارة عن

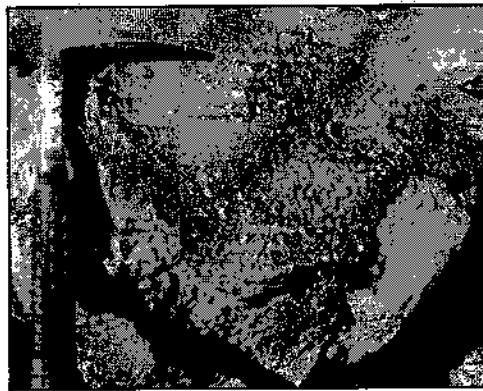
سلسلة جبلية تستقطب علماء الجيولوجيا لطبيعتها تشكلها، إضافة لما توفره مستحاثاتها



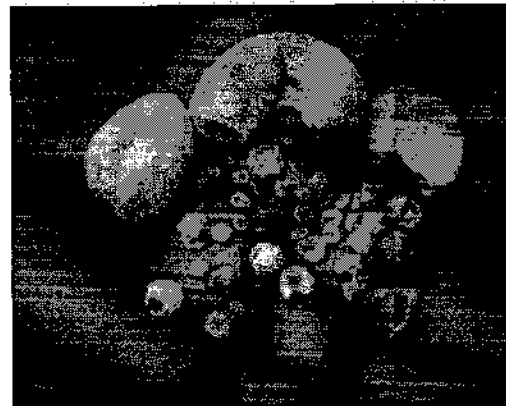
صورة لمنطقة الكحل



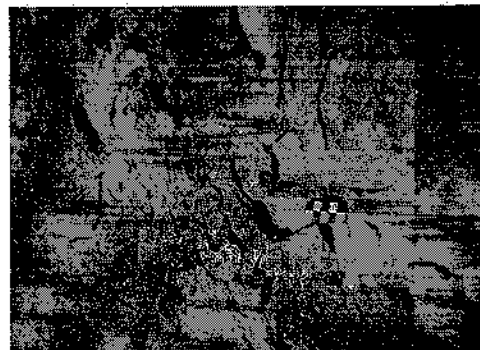
فك لفيل بمنطقة الكحل ببريزينة



صورة لحيونات بحرية متحجرة لمنطقة الكحل



مجموعة من الحلزونات وقنفاذ البحر المتحجرة  
جمعتها من منطقة الكحل



قوقعة متحجرة  
منطقة الكحل

البحرية والبرية لعلماء الباليوتولوجي حيث أكتشف بها مستحاثات لأقدم الثدييات

المتحجرة، وقد أكتشف جيولوجيون ما يعتقد أنه فك فيل متحجر مؤخرا بالكحل.

كما أنها تحتوي على الكثير من الموجودات الأثرية كالصناعات الحجرية المتنوعة ولقد

كنت محظوظا لما اكتشفت رأس سهم حجري مهذب بعناية يعود حسب تصنيف العلماء

إلى الصناعة العاترية.

والحظ الأكبر هو الوضوح الذي تتحلى به من

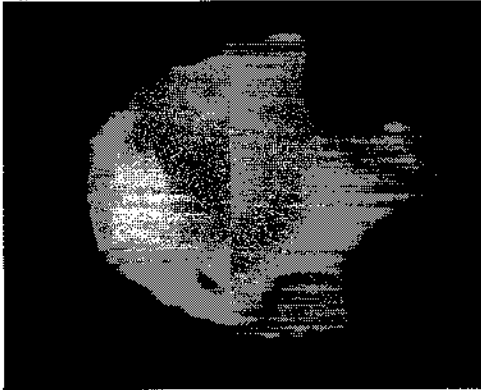
خلال رؤيتها عبر القمر الصناعي من خلال برنامج

قوغل إيرث [www.googleearth.com](http://www.googleearth.com)

حيث من خلال هذه الرؤية الفوقية يمكننا ملاحظة

إنتشار و توزع المعالم الجترية بهذه المنطقة كما يمكننا

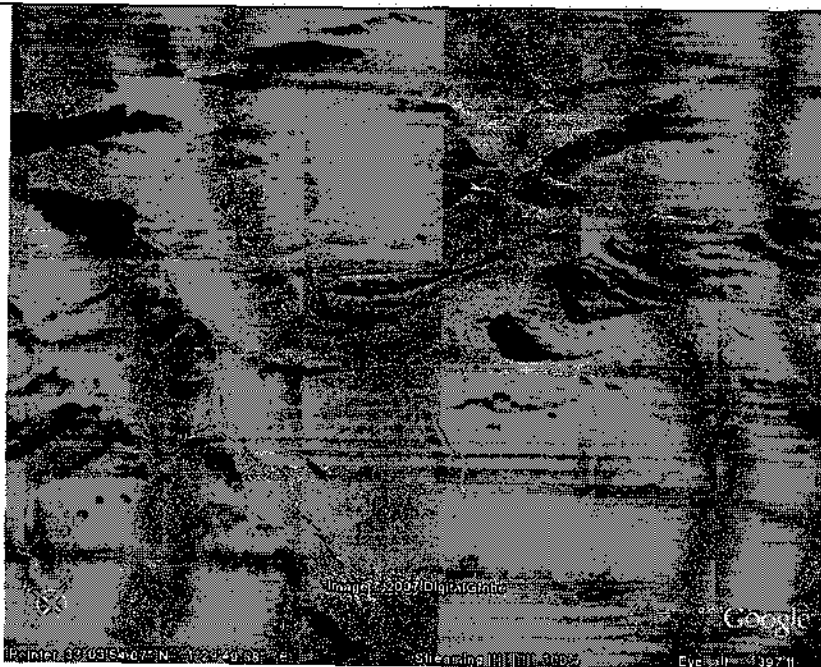
تحديد إحداثيات كل معلم بدقة إضافة إلى أبعاده.

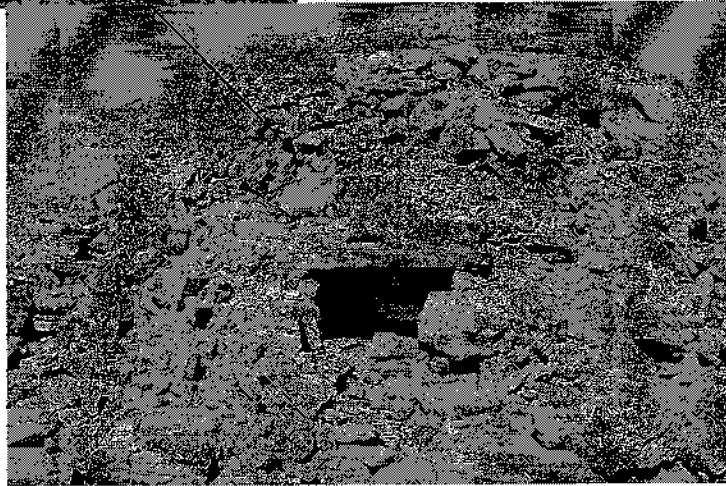


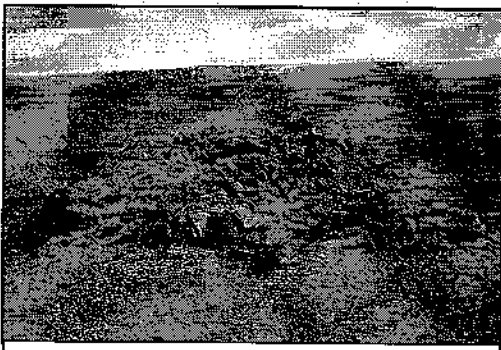
رأس سهم حجري وجد بمنطقة الكحل



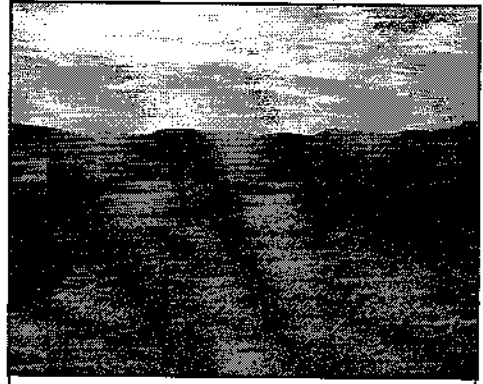
نظرة عبر القمر الصناعي لمنطقة الكحل مأخوذة من البرنامج المذكور بالصورة







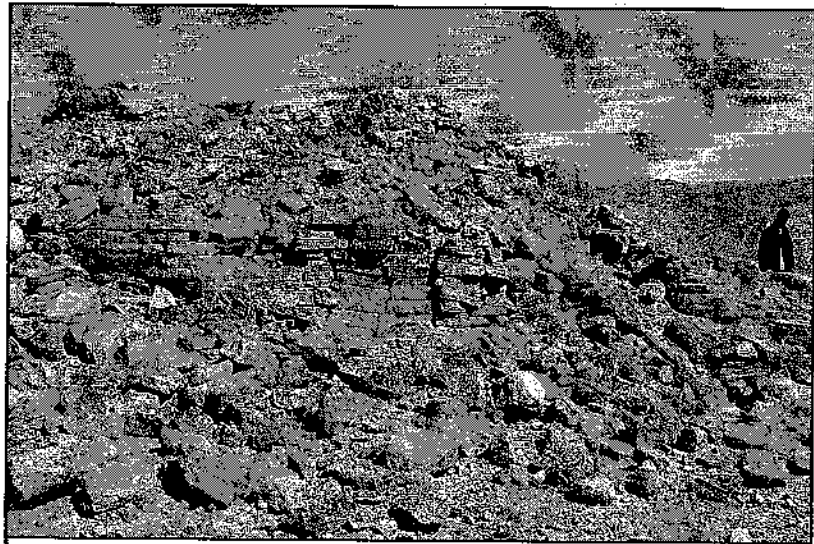
جدر بمنطقة الكحل



صورة لمجموعة من جدر الكحل



جدر بمنطقة الكحل



جدر بمنطقة الكحل

و ما يميز هذه المجموعة أن الحجارة بمنطقة الكحل مهذبة و جيدة، كما أن المنطقة بعيدة عن التواجد السكاني لذلك تحوي هذه المنطقة أحسن الجدر و أسلمها و أتقنها بناءً و جدرها

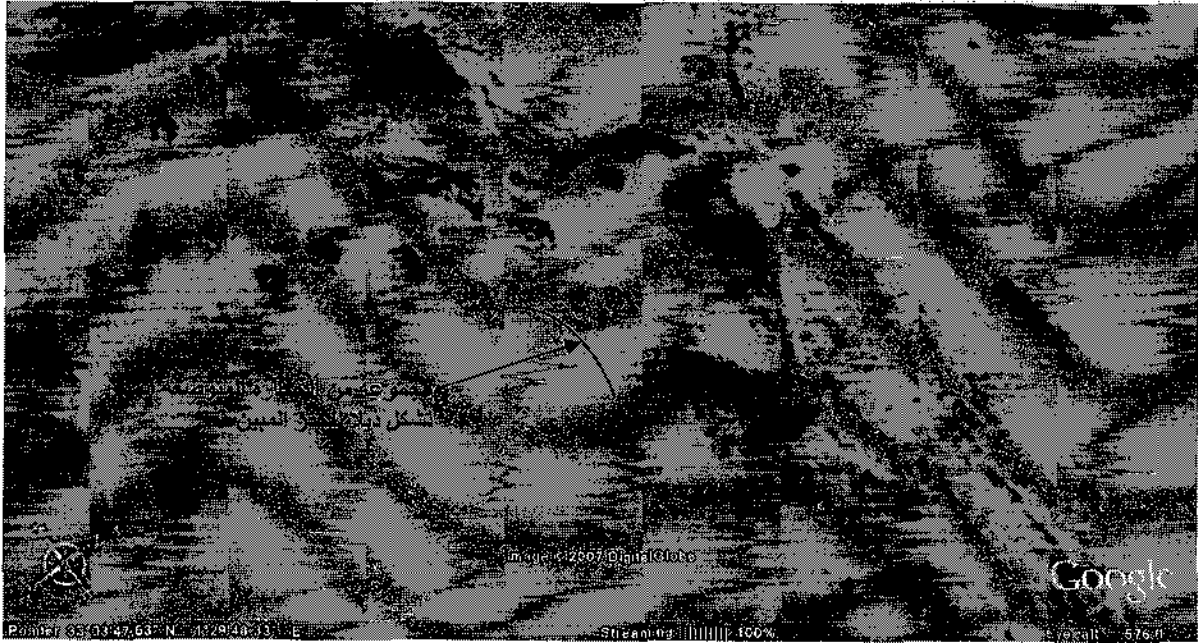
مبنية على قاعدة اسطوانية ومربعة وبها جدرٌ مميزة كذلك ذي الثلاثِ قبابٍ المتلاصقةِ ببناءٍ متناسقٍ.

كما توجد بها بعض ما أعتقد أنه ملحقات بهذه الأبنية الجزرية على ما يظهر في الصورة المأخوذة من الساتل حيث هناك ذيل من الحجارة يخرج من الجدر ويتجه إلى الشرق فالجنوب (E"47.32'29°1 ، N"47.60'3 °33)،

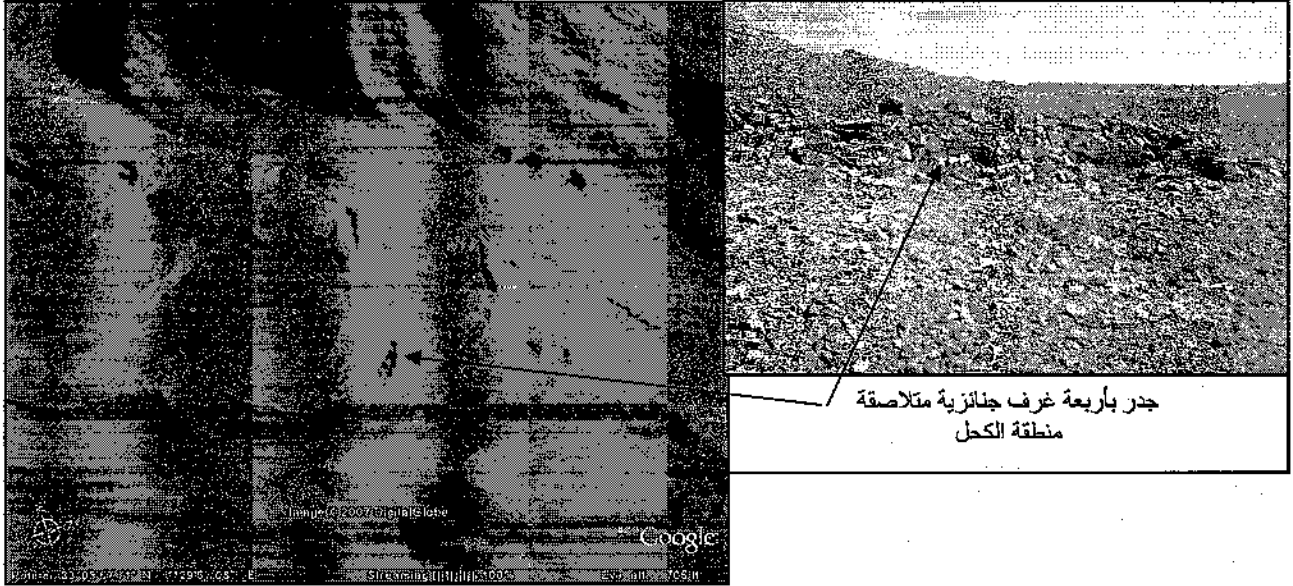
وهناك على الأقل جدران أحدهما بثلاث غرف جنازية وموقعه (N"24.78'3 °33)،

(E"28.33'29°1 والآخر بأربعة غرف وموقعه (N"57.64'3 °33)،

(E"58.08'29°1







4. مجموعة جدر بن دلة: هي إمتداد لمجموعة جرابيع وأردت أفرادها بالذكر لأن القرية

الحالية والتي تحمل "اسم بن دلة" بنيت على أنقاض الكثير من الجدر بل لقد هدم لهذا

الغرض أعظم معلم في المنطقة وسوي بالأرض واستغلت حجارته لبناء المجمعات

السكنية.

الفصل الثالث

## الفصل الثالث:

تأثير حضارة أصحاب الجدر على عادات وتقاليد المنطقة

### المبحث الأول: المقابر الحالية والجدر

المطلب الأول: تشابه الوظيفة والبناء

المطلب الثاني: أواني وشقوف فوق القبور

المطلب الثالث: المقامات والأضرحة

### المبحث الثاني: عادات من الزمن الأول

المطلب الأول: رؤية المجتمع إلى الموت

المطلب الثاني: الوعدة ببريزينة

الفصل الثالث:تأثير حضارة أصحاب الجدر على عادات وتقاليد المنطقة.

لقد رأينا أنواع الجدر التي وجدت بالمنطقة وطبيعتها وكيفية تشكلها وكونها لغرض الدفن ضمن طقوس معينة؛ ورغم صعوبة تحديد الطقوس المتبعة لدى أصحاب الجدر؛ إلا أننا رأينا مدى اهتمامهم بالأموات من خلال تشييدهم لآلاف الجدر وإهدارهم جهدا خارقا، نستطيع أن ندرجهم من خلاله في قائمة الحضارات التي بنيت على اقتصاد الموت، حيث تغلغلت الموت إلى قلب الحياة اليومية وأصبحت الموت بذلك محور الحياة<sup>1</sup>.

بل لقد حدث تضخم حضاري في منطقتنا هذه أدى إلى زوال هذه الحضارة بسبب الطقوس التي أرهاقتهم و أصبحت عبئا عليهم في وقت لاحق، فالتضخم الحضاري يجعل بعض المصالح التي خلقتها الحضارة عديمة الأثر بل إنها ستظل عبئا على عناصر الحضارة الأخرى التي قد تفوقها أهمية الأمر الذي ينهي الحضارة<sup>2</sup>، لذلك وقعت حضارة أصحاب الجدر تحت أقل الضربات للحضارة الإسلامية التي طلبت البساطة والاقتصاد في الموت، فاندثرت بسرعة كبيرة مخلفة الكثير من الشواهد الجزئية التي لم يستسغ السكان الحاليون كونها مدافن، كما لم يستسغ المؤرخون العرب كون الكثير من المعالم المعروفة مدافن، وهذا ابن خلدون على طول باعه في

1. Edghar Morin , Ibid, p38

2. رالف لنتون ، مرجع سابق، ج 1 ص 111، 112

العلم يقدم الأجدار بتيهرت على أنما نصب تذكارية وضعها أحد السلاطين تخليدا لانتصاره على بعض الفارين<sup>1</sup> بينما الحقيقة التي نعرفها الآن أنما قبور ملكية بربرية.

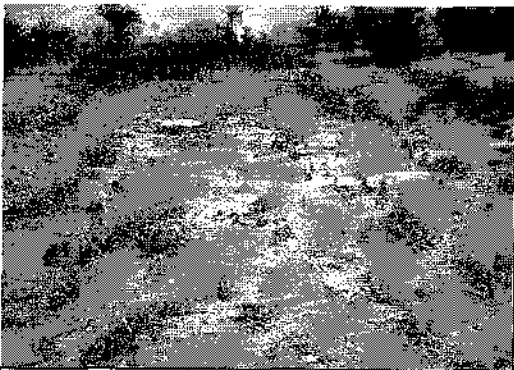
فماذا بقي من عناصر حضارة أصحاب الجدر في العقلية الشعبية متوارثاً عبر الكثير من الأجيال؟

### المبحث الأول: المقابر الحالية والجدر

#### المطلب الأول: تشابه الوظيفة والبناء

لقد رأينا كيف أن الميت في حضارة أصحاب الجدر أهيلت عليه الكثير من الحجارة لأجل حفظ جسده، خوفاً من الحيوانات المفترسة على الأقل، مع علمنا أن الحيوانات المفترسة كانت إلى وقت قريب بالمنطقة، بل لازالت تثير الخوف والذعر عند أهل البادية، حيث المقبرة بلا سور ولا حراسة.

ففي مدينة بريزينة حيث يعيش الأموات بجوار الأحياء كحال الكثير من المدن، نجد القبور على العموم بسيطة مغطاة بالتراب فقط، عدا الشاهدين. لكن مع ذلك لا زالت بقايا من الخوف



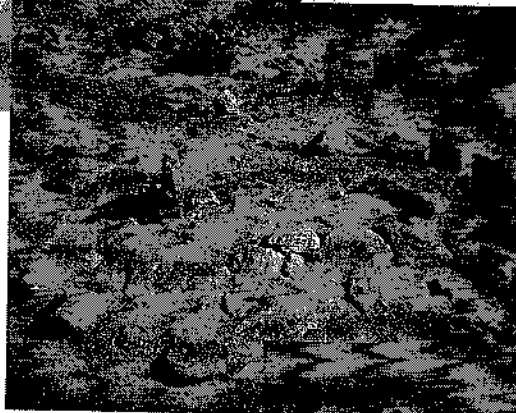
صورة لجانب من مقبرة بريزينة

الأول التي تجعل بعض القبور يبالغ في تحويطها بالحجارة ليس الباعث خوف الحيوان المفترس! كما الحال كذلك مع المبالغة في الحفظ في المقابر المركزية بالمدن الكبرى لتجد من يحوِّط فقيده بقفص من

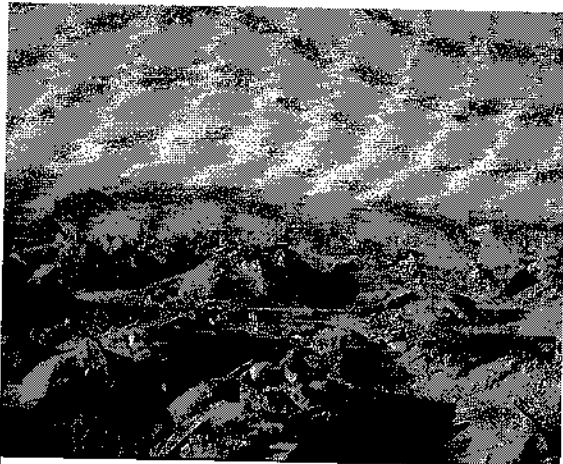
1. ابن خلدون، مصدر سابق، ج2 ص2411.

الحديد فوق ما ثقل من بلاطات الرخام، قد تبتدأ الظنون إذا عرفنا أن الأمر يتعلق في علاقة واهية من خوف سطو الأحياء على تلك البلاطات غالية الثمن رغم وجود العسس.

وبين ذلك الخيط الرفيع بين الخوف على الأموات والخوف منهم نسجل طبيعة القبور المعينة في كل من المقبرتين الريفيتين بكل من "الشرية" و "سيدي سليمان بسواس" بريزينة حيث تظهر الحجارة المكدسة على بعض القبور لا ترق إلى ضخامة الجدر ولكنها تبيّن ما يؤديه الخوف من الحيوانات، بل تبيّن الاقتصاد الذي كان سيلحق أصحاب الجدر إذا كان دافعهم إلى تكديس الحجارة هو الخوف على الأموات، كما أنها تدعو للتبصر حول طبيعة دفن أهل المنطقة الحاليين، وتجاور القبور البسيطة المغطاة بالتراب وتلك المغطاة بالحجارة في إشارة إلى رمزية بسيطة تسلت من القدم فإذا ما أضفنا إليها عناصر أخرى محيطية تأكدنا أن الأمر يتعلق بإنديساس مباشر أو غير مباشر من حضارة أصحاب الجدر البائدة.

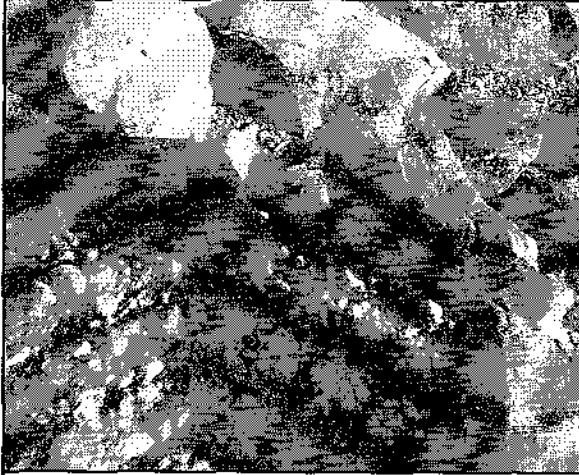


صور لقبور مغطاة بالحجارة  
مقبرة الشريعة



طريقة الدفن بمقبرة سيدي سليمان (سواس) ببريزينة

## المطلب الثاني: أوالي وشقوف فوق القبور



شقوف موضوعة فوق قبر  
مقبرة سيدي سليمان

أول ما زرت المقبرة المركزية بقسنطينة لاحظت وجود كؤوس موضوعة فوق القبور، ونتيجة ما أعرفه من جهود ابن باديس في المنطقة للقضاء على كل مظاهر الشرك، تعجبت من تلك الظاهرة فسألت من صادفت ذلك الوقت عن سرّ هذه العادة، فأخبرني أنّ

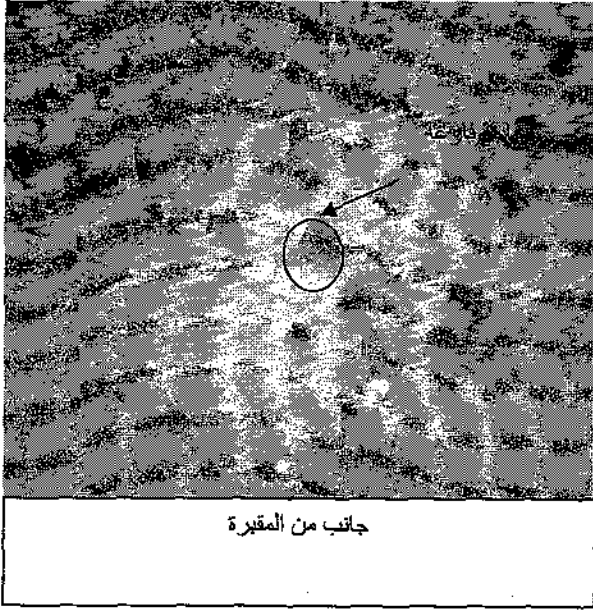
الناس اعتادوا على وضع هذه الكؤوس والفناجين على القبور حتى إذا ما سقط المطر امتلأت؛ وشرب منها العصفير؛ فكانت صدقة جارية على الفقيد، وبغض النظر عن طبيعة الصدقة الجارية لم اقتنع ذلك الوقت بذلك الجواب، ولا زال يثير في الكثير من الفضول إلى أن أعدت التمعن في المقابر وما يحيط بها لأجد بمقبرة بريزينة الكثير من كؤوس الشاي وشقوف الزجاج والفخار موضوعة على القبور، سألت عائلة ميت حديثاً؛ وُضع فوق قبره كأس شاي عن الباعث على ذلك؛ فأخبرني ابن الفقيدة أنّه هو من وضع الكأس لأن أمّه كانت شغوفة بالشاي، فرأى أن يُلحق بها ذلك الكأس.



وسألت بعض العجائز عن سبب وضع شقوف الفخار والزجاج و الكؤوس على القبور فكانت إجابتهن الباهتة أن الأمر يتعلق بتعيين قبر الفقيد، حتى تتسنى معرفته لأقاربه وذويه.

وفي الدراسة التي قام بها ماسو عن الأواني الفخارية والأشياء الطقسية الموجودة في

الأضرحة الريفية في القبائل الكبرى رأى أن الناس بالمنطقة يهتمون بوضع الكثير من الفخاريات



جانب من المقبرة

على قبر الميت؛ مصابيح وحاملات شموع<sup>1</sup>، لتجد في الأخير أنفسنا أمام تجلٍ واضح لطقوس خفية اصطبغت بالكثير من التعليل، جامعها الوحيد هو بقايا من الطقوس السابقة للإسلام فإذا لم يسمح الدين الرسمي لأهل الميت بوضع أغراضه معه في قبره فقد وجد



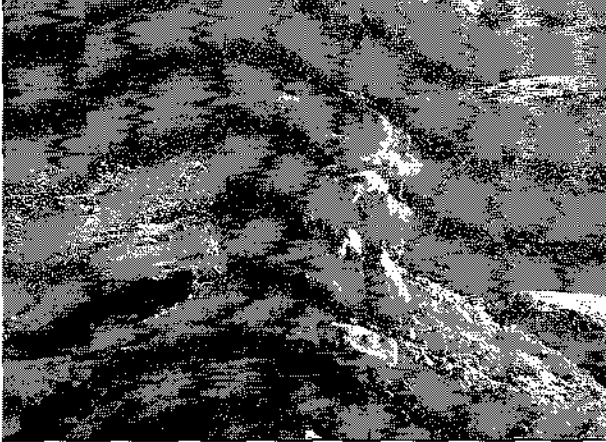
فجان بدون مقبض على القبر  
مقبرة بريزينة

الناس بديلا عن ذلك بوضع هذه الأغراض فوق القبر، بل إن وجودها فوق القبر يذكرنا بالقنوات والكويسات الصغيرة المحفورة على طاولات الدلن و أمام الحوانت، لتراق عليها السوائل المقدسة والتي تقدم كقرايين<sup>2</sup>.

1. Jean Claude Musso, dépôts rituels des sanctuaires ruraux de la Grande Kabylie, C.R.A.P.E, Alger, 1971, p97

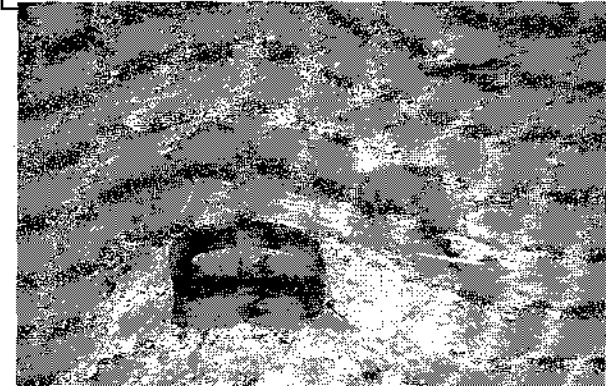
2. Gsell (Ste), Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, t.6, p243

ومن جهة أخرى نلاحظ بمنطقتنا ما يؤديه حب الأم الشديد لرضيعها الميت بحيث تُطرح كلُّ المعتقدات الرسمية لتُعبّر عن قناعاتها الإيمانية. ممارسة طقوسها الخاصة والتي بطبيعة الحال ورثتها عن ثقافة قديمة عليها ثقافة أصحاب الجدر، ففي هذه الصور بمقبرة سيدي سليمان نلاحظ قبر



أغراض الرضيع موضوعة فوق قبره  
مقبرة سيدي سليمان بريزينة

رضيع وضع فوقه حزامه بما يحمله من تعاويد وأصداف، إضافة إلى قارورة الحليب وقارورة دواء، ولو إستشيرت هذه المرأة لوضعت هذه الأغراض بداخل القبر، فالمرأة عندنا لا تفوت تجسيد ما تؤمن به من طقوس في حين أنّ



مقبض آنية مكسرة، زجاجة فارغة، وحزام الرضيع بما يحمله من  
صدف ورضاعة.  
مقبرة بريزينة

الرجل يملك من العجرفة والكبر والخوف من أحكام المجتمع ما يجعله يتعالى عن مثل هذه الطقوس التي تنفرد بها النساء بامتياز.

ومثل هذه الصورة كثير، فغالبا ما يلحق

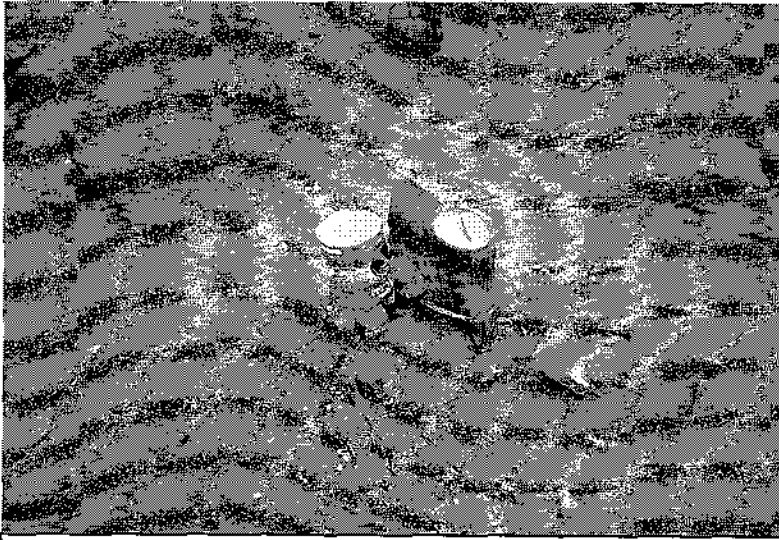
بالرضيع جميع أغراضه وخصوصا حزامه الذي

يطوق الشاهدة في العادة، ولدى سؤالي لبعض النسوة عن هذا الأمر قلن بأنها أغراض يستنفع بها

الرضيع في رحلته إلى العالم الآخر! فهذا إعتقاد لا يقارن برؤية الدين الرسمي التي لا شك أنّها

تنافي هذا بل وتحاربه منذ قرون إلا أنّه مترسخ في الثقافة الشعبية.

ورغم أن الحججة دائما هي معرفة قبر الفقيده وتعيينه، إلا أننا أمام ما لاحظناه بالمقبرة المركزية بريزينة نؤكد أن الأمر لا يتعلق بالتعيين فقط، بل تتعدى المبالغة في التعيين لتصل لحد إشباع عقيدة خفية إكتفت بوضع رموزها فوق القبر بدل داخله ومن ذلك الطلاء الأحمر الذي وجدناه مراقا على قبر (الصورة)، فلأجل التعيين كان يمكن طلاء الشاهدة فقط لا إراقة الطلاء على القبر وتعليق علبة الطلاء فوقه، لتذكر الأحمر الجنائزي الذي إشتهرت به طقوس الدفن في القدم والتي وجدت بكامل المعالم بالمنطقة<sup>1</sup>.



طلاء أحمر مراق على القبر وقد طلي به جزء من الشاهدة وكبت العلية فوق القبر  
مقبرة بريزينة

إنّ هذه العناصر الثقافية ليست معزولة تماما عن عناصر أخرى ملازمة لها فرغم تعاليم الإسلام الواضحة حول الموت والدفن وغيرها من الأحكام

المرتبطة بالموت والجنائز إلا أننا نجد ممارسات يصفها الدين بالبدع ولا تنفك عن المجتمع لأصالتها.

1. Gsell(Ste), Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, t.6, p 235

## المطلب الثالث: المقامات والأضرحة:

إن البحث عن تاريخ الأضرحة هو بحث متشعب يستهلك وجود الإنسان وحضارته، كما أن مسارات انتقال هذه الثقافة متعرجة جدا فمن المفروض أن الأضرحة بشمال إفريقيا هي متأثر من الثقافة المحلية ثقافة أصحاب الجدر، غير أن التأثير كان بالمناولة فقد انتقلت هذه الثقافة للمسيحية الأولى عند اتصالها بأصحاب الجدر بشمال إفريقيا ثم تربت في المسيحية الغربية لتعود إلى الحضارة الإسلامية في ثوب المقامات والقباب<sup>1</sup>

وبحثنا عن العلاقة بين ما كان لدى حضارة أصحاب الجدر من بنايات وشواهد من صميم ابتداعهم وثقافتهم نجد تلك المباني عندنا تؤدي وظيفة تعبدية في إطار الديانة الإسلامية أقل ما يقال عنها أنها مختلف فيها لدرجة تكفير أصحابها وإخراجهم عن دائرة الإسلام.

فلقد مرت بنا معالم جثرية شبيهة بجذوة الحصان تأخذ عدة اتجاهات\*، نجد مثلها في ثقافتنا الحالية المصطيغة بصيغة إسلامية ما يسمى عندنا بالمقامات، (والمقام يعني المكان الذي توقف فيه الولي الصالح، للصلاة أو للراحة)<sup>2</sup>، فجلس فيه ذاكرة مصليا حتى إذا ما رحل أتخذ

1. لقد أشار فيليب آري في مرجعه الذي مرّ معنا بتأثر الكنائس البيزنطية بشمال إفريقيا بطرق الدفن والنظر إلى الأموات، لتحتضن أمواتها وتترك لهم حق الجوار رغم ما كان من منع سابق، بل حتى إنه لدينا بضريح سيد الحاج الدين وسيد الشيخ مثلا ما هو لدى بعض الكنائس كما أشار المؤلف من دفع مبالغ مالية لأجل من أراد أن يدفن جوار هذين الوليين الصالحين (ينظر: فيليب آري، مرجع سابق، ج1، ص38 و46)

\* ينظر موريس ريقاس، مرجع سابق ص39.

2. Colonel .C. Trumelet, l'Algérie légendaire... op.cit p134

كما أورد في التهميش: (مقام معلم تذكاري أقيم في المكان الذي توقف فيه الولي الصالح) ص134.

مزارا ومكانا للتعبد، ويحاط في الغالب بمجموعة من الحجارة تحدد اتجاه القبلة وتشبه في توّصّعها حذوة الحصان ويسمى باسم الولي الصالح الذي كان لهذا المكان شرف الجلوس فيه والصلاة به. وحتى الأضرحة كانت تتخذ هذا الشكل فقد (كانت قبور الأولياء - أولاد سيدي معمر بلعاليا - عبارة عن حويطات من الحجارة البسيطة حتى جاء (سيدي بن الدين) وأقام عليها قبابا، في بداية القرن الثامن عشر)<sup>1</sup>

ونأخذ على سبيل المثال أربعة مقامات بمنطقة بريزينة، مقام سيدي سليمان بمقبرة سيدي سليمان بسواس، ومقام سيدي أحمد بن عبد الله، ومقام سيد الحاج بحوص، إضافة إلى مقام فرعة السهلي.

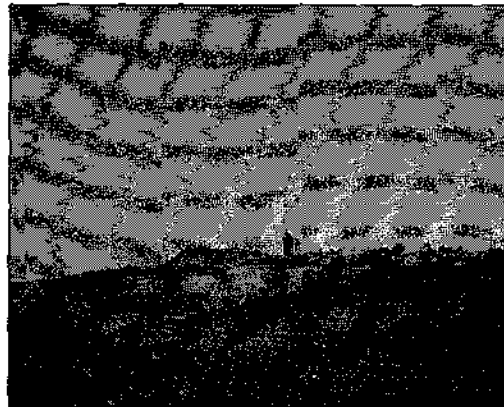
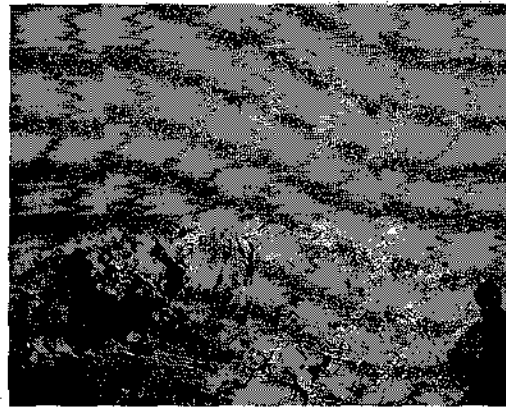
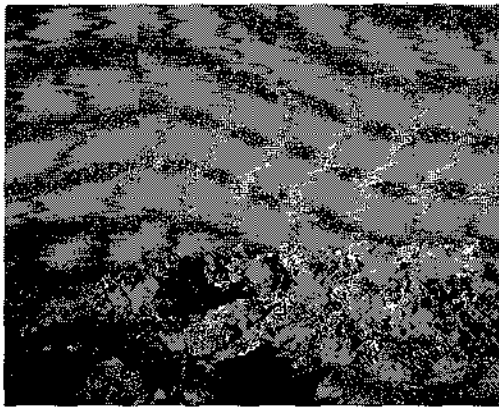
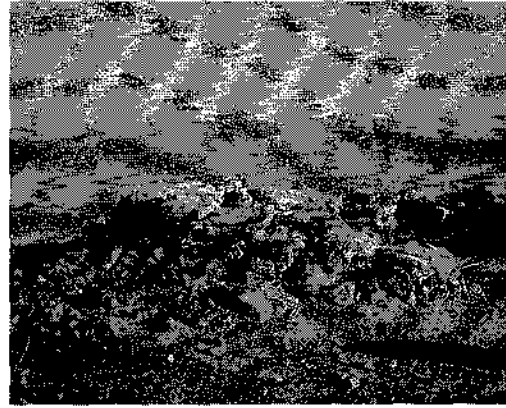
#### ■ مقام سيدي سليمان\* بسواس

هو مقام ولي صالح من سلالة سيدي معمر أبي العالية، أقيم على أنقاض جدر سابق كما يتضح من خلال المعاينة مبني على شكل حذوة الحصان بحجارة بسيطة موضّعة بشكل بسيط بدون تناسق للبناء بل هي مجموعة جمعا إلى بعضها البعض، مطلية بالجير الأبيض، بما بعض الأعواد الصغيرة؛ وضعت حتى يتسنى تعليق خيوط وعقد، كما أنّ وسط المقام يصلح أن يكون مصلى به قليل من الرمل يتبرك الزائرون بتمسحهم به، كما يأخذونه معهم لنفس الغرض

1.Colonel .C. Trumelet, l'Algérie légendaire... op.cit pp129,130

\* لم نجد أحدا يعرف المقصود من هذا الاسم ولعلّ المقصود به هو سيدي سليمان بن بوسماحة المعروف من أجداد سيد الشيخ.

ولأغراض أخرى، يعتقد الكثير في زيارته والتبرك به، وكثير من الناس من أهل المنطقة من يوصون بدفنهم بمقبرة سيدي سليمان كنوع من الاعتقاد في بركة المكان وشفاعة الجوار.



صورة لشخص يقف أمام مقام سيدي سليمان  
قبيل المغرب



## ■ مقام فرعة\* السهلي

وهو مقام متواجد جنوب جرابيع التي مرّت معنا في البحث في أعلى فرعة السهلي التي

تنحدر إلى الزبوج مباشرة عند النقطة تقريبا (E"44.57'3 °1،N"29.07'53°32).

وهو مقام كسابقه يشبه حذوة الحصان محاط بالحجارة يتجه نحو القبلة، لم يرمم كما لم



مقام فرعة السهلي

يطل بالجير، ربما فقد الناس الذين

كانوا يعتقدون فيه، بسبب تحضر

الكثير من البدو، كما أنه بعيد عن

التجمعات الحضرية وليست بجانبه

مقبرة كحال مقبرة سيدي سليمان.

\* فرعة تعني في المصطلح المحلي تفرع لواد أو لمكان تتجمع فيه المياه، فهي لا ترق أن تكون واد بل هي دون الواد وقد ورد في القاموس المحيط (الْفَرْعُ وَالْفَرْعَةُ:....وَمَجْرَى الْمَاءِ إِلَى الشَّعْبِ، ج: فِرَاعٌ).



■ مقام سيدي أحمد بن عبد

الله

يقع جنوب القور المعروفة

بريزينة بمحاذاة أنبوب الغاز المغاربي المارّ إلى إسبانيا، عند الدرجة ( $N^{\circ}41.91'58^{\circ}32$ )،  
 عند القبة المبنية لأجله والتي تحمل اسم هذا الولي الصالح على اعتقاد  
 الناس بالمنطقة والذي ينحدر هو الآخر من سلالة سيدي معمر بالعالية، وتنسب إليه العامة  
 بالمنطقة أنه من فصّل القور\* ويحلف به البعض قائلين (حَقُّ من قَطَّعَ الثُّورَ بُلًا شَاقُورَ)  
 وسبب هذه التسمية أن القور كانت متصلةً بعضها ببعض مشكلة حاجزا عظيما يمتد على  
 مسافة حوالي خمسة كيلومترات، وكانت إبل هذا الولي الصالح ترعى بها، فغزتها سريةً من  
 الشرق، فلزّتها إلى القور حتى لا تجد مهربا، غير أنها إستغاثت بصاحبها، فما كان من هذه  
 المعالم الطبيعية إلا أن إنفلجت تاركة العنان للإبل، والخوف والتسليم لسارقها الذين  
 تعاهدوا منذ ذلك الوقت على إقامة وعدة بالقور إجلالا وتوقيرا لمن رأوا كراماته عيانا،

\* لقد مرّ معنا معنى كلمة القور وان أصلها (قارة)، وترجمة هذه المعالم الطبيعية هو

(les Falaises)

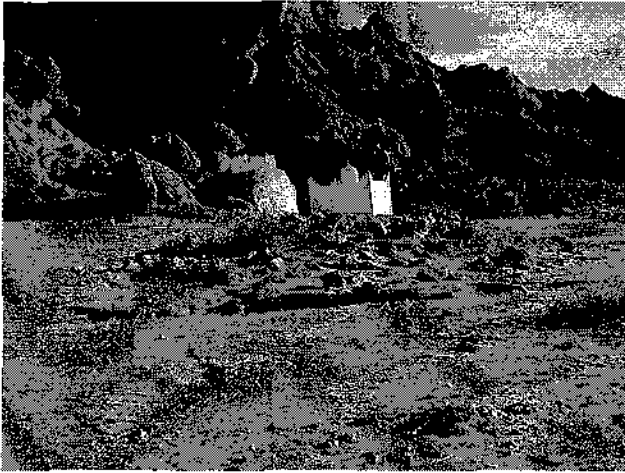


ويحكى أنه كان لوقت قريب يأتي أناس لمقام هذا الولي الصالح ليقيموا وعدهم،

غير أنه في الوقت الحاضر تقام وعدة صغيرة نسبيا من بعض سكان بريزينة على شرف هذا



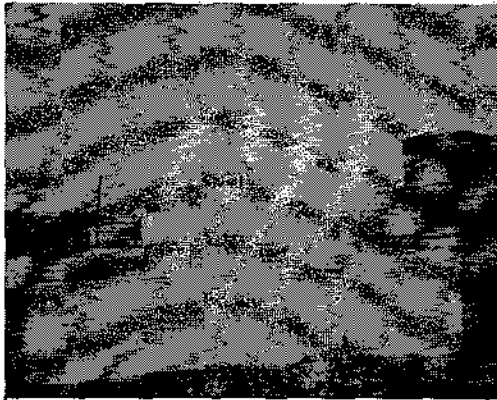
الولي.



■ مقام سيد الحاج بحوص \*

\* سيد الحاج بحوص هو ثالث أبناء سيد الشيخ آلت إليه الزعامة الدينية والسياسية بعد وفاة والده توفي سنة 1660م. نقلا عن:

(Louis RINN, MARABOUTS ET KHOUANS ÉTUDE SUR L'ISLAM EN ALGÉRIE, ADOLPHE JOURDAN, LIBRAIRE-ÉDITEUR, ALGER 1884, p.354)



مقام سيد الحاج بحوص  
ببريزينة

هذا المقام في شكله الحالي هو قبة بمدينة بريزينة لا يوجد بها قبر، بل الأمر كما يدل اسمه على أنّها مكان أقام به الولي الصالح بحوص بن عبد القادر بن محمد هذا الأخير المعروف بالأبيض سيد الشيخ، دفن في قبة حواره بمدينة الأبيض سيد الشيخ.

المتداول بالمنطقة أن مقام سيد الحاج بحوص كان بوسط الواد ببريزينة ولما جرفه السيل قام أهل المنطقة بتغيير ذلك المقام إلى موقعه الحالي بعيدا عن مجرى الواد، ولقد أوردنا ذكر هذا المقام للتدليل على أن القباب هي أقصى ما استطاعه أهل المنطقة - مع إمكاناتهم المتواضعة - من تشييده بديلا عن المقامات التي رأيناها سابقا والتي تشكل كحذوة الحصان\*، فالفكرة في وضع المقامات لازالت قائمة في ثقافة أهل المنطقة غير أنّ الظروف الاقتصادية هي التي حوّرت المقام بشكله البسيط إلى القبة التي تعني عن وجوده وتشبع الفراغ الذي يحس به الزائر، فالاستدارة التي يتمتع بها المقام تشكل منها القبة كنهاية من نهاياتها، وبالتالي تظل تحافظ على حميمية الشكل وألفة المنظر، في إشارة بليغة إلى النفس الإنسانية وتشكلها الأول

وينظر كذلك :

(Colonel .C. Trumelet, l'Algérie légendaire... op.cit, p175)

\* كانت قبور الأولياء عبارة عن حويطات من الحجارة البسيطة حتى جاء (سيدي بن الدين) وأقام عليها قبابا، في بداية القرن الثامن عشر. (Colonel .C. Trumelet, l'Algérie légendaire... op.cit, p129-130.

(فكل ما هو مدور يثير فينا رغبة في أن نربّت عليه ونلاطفه)<sup>1</sup> لتنتقل هذه الإثارة من الأشياء المدورة عموماً إلى الأبنية المدورة بالخصوص لنجد في النهاية أن (القبة تترك في النفس أعمق الأحاسيس والمشاعر وتقود الإنسان إلى التأمل وقلماً يجد المرء مثل هذه المظاهر والانعكاسات في الأبنية المسطحة...)<sup>2</sup>

وكحشد لما يمكن أن نسميه تأثير وتواصل مع تلك الحضارة البائدة، (نسجل الرجم (الجدر) الذي أقامه الناس بمنطقة المغسل حيث غسل سيد الشيخ)<sup>3</sup> حيث ما زال الجدر ذو دلالة روحية، قدّسه الأولون ومجد محطات المقدسين المتأخرين.

نضيف إلى ذلك العادة المتوارثة عبر العديد من المناطق والتي تعتمد وضع جدر صغير في المكان الذي ترغب أن يزوره شخص قريب إليك، وأغلب حجاج المنطقة كانوا يقومون بهذا، بل تجدهم عند عودتهم يمشرون من وضعوا لهم جدرا بعرفة حتى يتهيئوا للحج قريباً. كما نسجل ما ذكرته الباحثة قادري فاطمة خضرة عن الأجدار بمنطقة تيارت حيث اتخذها أحد المرابطين زوايا؛ واتخذهم من بعده أهل المنطقة مزارات يتركون بها<sup>4</sup>، ولا أدري مصدر البركة أمّن تأثيرات المرابط، أو من إشعاع الأجدار الذي يدعو لأن تخشع بجواره وتتمسح بجدرانه، كما تمسح العرب قديماً بأصنامهم.

1. قاستون ياشلار، مرجع سابق، ص210.

2. عطا الحديثي، هناء عبد الحق، القباب المخروطية في العراق، وزارة الاعلام، بغداد 1974، ص10.

3. Colonel .C. Trumelet, l'Algérie légendaire... op.cit, p135.

4. KADARI Fatima kadra, Op.cit, P.29

المبحث الثاني: عادات من الزمن الأولالمطلب الأول: رؤية المجتمع إلى الموت

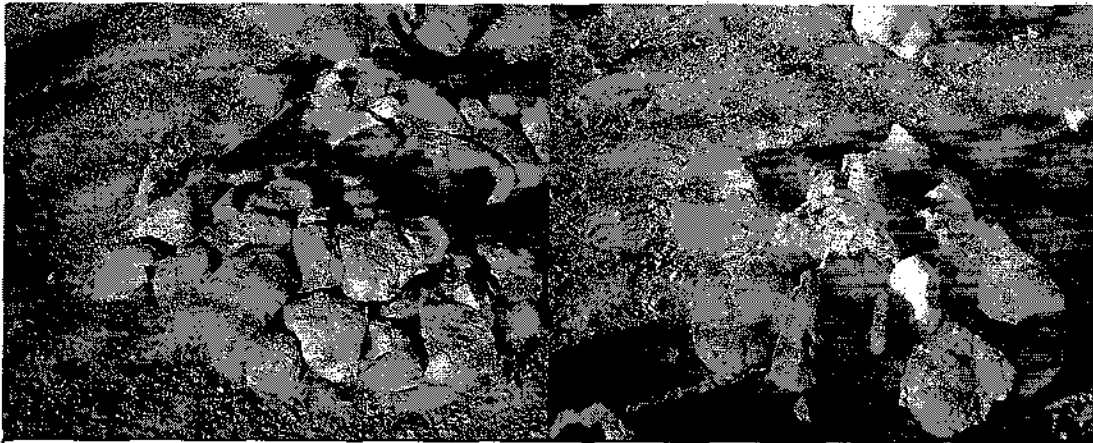
من خلال الكثير من العادات التي سننقلها في هذا المطلب تبين أن هناك نظرة للموت بعيدة عما تملكه الثقافة الرسمية كما الكثير من العادات الأخرى، ففي صبيحة اليوم الموالي للدفن يقوم النسوة بزيارة الفقيد في الصباح الباكر وقبيل طلوع الشمس فيما يسمى (الفراق أو الفطور) معتقدين في رجوع الفقيد ليتفقد حاله، فيقومون برش القبر ويأخذون معهم الحلوة تقسم على من وجد من الصغار، ويصلحون من القبر وغالبا ما تكون تلك الزيارات من أواني مكسرة وكؤوس وغيرها في هذه الأيام التي تنتهي بظهور أول جمعة يلي الدفن، ليقام ما يعرف بالأسبوع، فيقوم أهل الفقيد بإعداد وليمة للأهل والأقارب وكل من واساهم صدقة على الفقيد، ثم تحتم المراسم الجزية بالأربعين أين تعد وليمة أخرى تجتمع عليها جميع العائلة.

وكتفسير لظاهري الأسبوع والأربعين يعتقد الطوارق أن القرين أو الروح عندما تنفصل عن الجسد، تبقى تائهة لا تعرف أين تستقر، فتزور القبر وترفرف حوله مدة أسبوع وفي الأخير تنتقل إلى حيوان من الحيوانات الأليفة لذلك يحرم أكل لحوم هذه الحيوانات بالنسبة لأقارب الميت لأن روح فقيدهم تكون قد حلت فيه وذلك لمدة أربعين يوما وبعد الأربعين تسافر الروح إلى العالم العلوي وتحل بذلك بعض ما حرّمته حالة الوفاة، من تزين و أكل لحم وغيرها<sup>1</sup>.

1. Hureiki Jacques, LES MEDECINES TRADITIONNELLES TOUAREGUES,

كما نجد عقيدة التناسخ لدى سكان أرياف تلمسان أين تستحيل الأرواح بعد الموت والدفن إلى فراش (ففي اعتقادهم أنّ الإنسان الذي يرى فراشة تحوم في منزله بعد دفن الميت هي إشارة إلى حضور روح الميت ولهذا يأمرّون بعدم طردها أو إزالتها)<sup>1</sup>

ففي منطقتنا تمارس عادات الأسبوع والأربعين دون معرفة أبعادها فهي عادات متوارثة منذ القدم لم يستطع الدين الإسلامي محوها بل لقد تسربت بغطائه وأوّل من يحضر هذه اللواتم هم "الطُّلبة" حيث يقرؤون القرآن في هذين اليومين لإضفاء الطابع الإسلامي على هاتين العادتين. وضمن رؤية أهل المنطقة للموت ننقل هذه الصور التي نستنتج من خلالها بلادة الموت وغبائها في نظر المجتمع، فهذه امرأة دأب الموت على أخذ وليدها، تنصح بأن تأتي بعظم بالٍ ليعير، غالباً ما يكون عظم الفخذ، تغمّطه وتدثره كما تفعل بابنها، وتجاوره له، وبعد مدّة تحمله في غمّاطه و تأخذه إلى بعيد حيث تدفنه فادية بذلك ابنها من الموت، وهذا تكون الأم قد تحايلت



صورة لملايس امرأة مدفونة  
مقبرة سيدي سليمان بسواس بريزينة

1. أوشاطر مصطفى، مرجع سابق، ص 268.

على الموت، ومثل حالة هذه المرأة، وبعد ولادتها، تعمد إلى جمع كل لباسها الذي كانت تلبسه أثناء وضعها وتأخذها إلى مقبرة مهجورة وتضعه تحت ركام من الحجارة، وبذلك تقضي على رائحة الموت الذي كان يتهدد صغيرها، ولقد شدني وجود تلك الحجارة المتراكمة فوق بعضها البعض كحال جُدرنا غير أنّها صغيرة، وعند سؤالي عن كنهها، تعرفت إلى هذه العادات.

وأغرب الحيل وأكثرها إنتشارا ما تقوم به المرأة حال السابقتين، بأن تقطع جزءا من لحم ابنها وتقضمه، وغالبا ما يكون هذا الجزء من الأذن، حتى تبيّن للموت أنها أكلت وليدها في طقوس معقدة لا ترق إلى أكل اللحوم البشرية غير أنها تحاول أن تقترب من عادات قديمة لا تمت إلى ما تعارفنا عليه في (ثقافتنا الرسمية) بصلة.

وفي نفس الموضوع تجدر الإشارة إلى ما تقوم به بعض العائلات إذ تعمد إلى تسمية أبنائها بأسماء مهينة ومشينة، أو أسماء لعبيد حتى تعافهم الموت\*

### المطلب الثاني: الوعدة بريزينة

إن من العناصر الثقافية التي نعتبر أنّ لها أصولا بعيدة مرتبطة بثقافة أصحاب الجدر هي الوعدة التي تقام بريزينة وبجهاة عدّة من الوطن.

فالوعدة (من وعد)، تسمى في المناطق الغربية للجزائر «الوعدة» وبالشرق «الزردة»، وتسمى كذلك «طعم» الولي الفلاني... وتطلق كذلك على «الموسم»، غير أن الوعدة إضافة إلى كونها

\* أسماء مثل (الميسوم، بريك، الخادم، العيفة، الهامل....)

احتفال ديني فهي تقام كل سنة وفي مكان وتاريخ محددين، وتحديدتها بالسنة الشمسية برهان واضح على أنها عادة عتيقة جدًا<sup>1</sup> لأن عبادات المسلمين ومواسمهم مرتبطة بالسنة القمرية.

فالموسم أو الوعدة يجتمع خلاله جماعة أو قبيلة بأكملها، وتقام حول ولي صالح (Marabout) وتأخذ بذلك رعايته وبركاته، يجتمعون عموماً في يوم خميس، ويقىمون

الوعدة يومي الجمعة والسبت، ويقام حول الولي الصالح سوقاً خاصاً لا يقام إلا بهذه المناسبة<sup>2</sup>،

وهناك وعدة خاصة بجلب المطر حيث تقام بجوار ضريح ولي صالح، إذا أجدبت الأرض

وحل الجفاف<sup>3</sup>.

وكانت قديماً تسمى باسم الولي الذي تقام لأجله، غير أنها وبسبب نقص الاعتقاد في

الأولياء؛ أصبحت تنسب إلى البلدة التي تقام فيها: كوعدة برزينة بدل وعدة سيد الحاج بحوص،

ووعدة عسلة فيما كانت تسمى وعدة سيد أحمد المجدوب، ووعدة الكراكة بدل وعدة أولاد

ضيف الله، وغيرها من التسميات.

وما يمكن ملاحظته على الوعدة؛ أنها تقام تكريماً وتخليداً لذكرى الأولياء الصالحين كما

أنها تقع بين موسمين؛ موسم الحصاد، وموسم البذر، لذلك يمكن إدراجها ضمن عادات الشعوب

القديمة المرتبطة بالزراعة، كما يمكن ملاحظة أنها تحضر وتقام أساساً من قبل الشيوخ.

1. EDMOND DOUTTÉ, La société Musulmane du Maghrib, Magie et religion dans l'Afrique du Nord, ADOLPHE JOURDAN LIBRAIRE-ÉDITEUR, Alger 1909, p.481.

2. Ibid. p.481.

3. Ibid. p.587.

ففي برزينة يجتمع ممثلين عن كل فرقة وعائلة يمثلون شيوخ القبائل، بالتنسيق مع البلدية يقومون بتحديد الخميس الذي تنطلق فيه الوعدة من شهر سبتمبر، حيث يكون الناس قد أنهوا الحصاد والدرس، كما تكون التمور قد بدأت في النضوج وتحتاج إلى تسويق، إضافة إلى بداية موسم الحرث والغرس، وتسبق الوعدة طلاء الأضرحة المعروفة بالجير، كمقام سيد الحاج بحوص سابق الذكر، وسيدي بلعربي، وفي ليلة الخميس حيث تبدأ الوعدة يأتي وفد من مقدميها إلى الأضرحة مرفوقين بمجموعة من الفنطازيا حيث يطلقون البارود\* إيذانا ببداية الوعدة، تكون الفنطازيا في اليومين المواليين هي أهم شيء يميز الوعدة إضافة إلى الولايم التي تقام للأهل والأقارب وعابري السبيل من تجار و سواح وضيوف يُدعون بالمناسبة، كما تتميز بسوقها النافق.

فبالنظر إلى كل هذا يمكننا إدراج الوعدة ضمن مقاربة أنثروبولوجية ممثلة فيما يعرف بعبادة الأحقاد على ما كانت عليه في بلاد المغرب العربي قديما لتتشكل في الأخير (مجموعة من الممارسات يقوم بها الأحياء في بعض المناسبات من أجل إحلال وتمجيد الميت والتعبير عن الصلة الوطيدة التي تربط بين الطرفين)<sup>1</sup>، وقد وجد بجوار كثير من الجثوات القديمة بوسط الجزائر و جنوب تونس، آثارا لمواقد وفحم يعتقد أنها بقايا مادب جزرية، وقرابين قدمت لروح الأحقاد، وهي عادة متواصلة حتى الآن يقول "غزال" لدى سكان الحدود الجزائرية المغربية<sup>2</sup> وقد وجدت

\* . لقد تحدث دوتي عن طقوس كثير ببلاد المغرب العربي أساسها إحداث الضجيج ليخلص في الأخير إلى أن ( الضجيج دائما يحدث لإبعاد الأرواح الشريرة) DOUTTÉ, P557 ونظن أن إطلاق البارود الدائم في كل المناسبات قد يكون من هذا القبيل.

1. رابح لحسن، مرجع سابق، ص 271.

2. Gsell(Ste), Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, t.6, p242



موائد موجهة لتقدم القرابين للأموات في كل الأضرحة الكبرى المعروفة<sup>1</sup> وفي لجدار بمنطقة تيارت اعتبرت قادري فاطمة حضرة البنائين المستطيلين مذابح موجهة لتقدم الأضحيات<sup>2</sup> فالوعدة والتي من خلالها تقدم الأضحيات للأولياء الصالحين حتى يحفظوا البلاد، ويباركوا الحصاد، ويعينوا على خصوبة الأرض، تدخل ضمن هذا التاريخ الطويل للمنطقة في عبادة الأجداد، فلهم من القداسة والمشيمة ما يجعلهم يسيرون الكون في نظر المجتمع، (فالمآثورات الأدبية تجعل للأولياء من الصفات المذهلة والخوارق المعجزة ما لا يختلف كثيرا عما نسبه الفراعنة إلى آلهتهم المتعددة أو ما أضفاه الإغريق على آلهتهم)<sup>3</sup>، ففي منطقتنا إذا ما حلّ الجفاف جزع الناس إلى التصديق على الأولياء الصالحين حتى يسقوهم وبهائمهم، فتجد في كل (مدينة كبيرة أو صغيرة محروسة بولي من الأولياء، فهو الذي يحميها من العين ومن الغارات ومن نكبات الطبيعة، ومن طمع الطامعين)<sup>4</sup>، بل لقد وجدت قبائل تعطي هبات لغرض خاص كما ذكر (لويس رين) أن سكان قصر غنول يهبون الأعطيات إلى سيد الحاج أعمر حتى يحفظهم من لدغات العقارب<sup>5</sup>

1. Camps (G), Aux origines ... Op.cit, p537

2. Kadria fatma kadra, Op cit, p34

3. أوشاطر مصطفى، مرجع سابق، ص227.

4. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت 1998، ج.1، ص263.

5. Louis RINN, MARABOUTS ET KHOUANS ÉTUDE SUR L'ISLAM EN ALGÉRIE, ADOLPHE JOURDAN, LIBRAIRE-ÉDITEUR, ALGER1884, p.365

وإذا إستعصت بعض الأمراض توجب المبيت عند الولي الفلاني أو في المقام الفلاني<sup>1</sup> وقد أورد ريقاس وجود ظاهرة النوم عند الصالحين لدى سكان الهقار حتى يأتوهم في الحلم ويجييون طلباتهم<sup>2</sup> كما ورد ذلك عن عدة شعوب ذكر هيرودوت من بينهم شعب النسامون (les Nasamons)<sup>3</sup>.

هذا حول الصالحين أما من يقومون بمراسيم الوعدة فهم من الشيوخ الذين ورثوها عن سابقينهم، متمسكين بها حتى تبقى لهم المكانة الاجتماعية التي تتقهقر- في حالة تخليهم عن تمثيل دور المنتجين للثقافة والمباركين للأعمال- إلى الشباب المنتج،

وبذلك تؤدي الوعدة كما عبادة الأجداد (تمتين أواصر اللحمة بين الجماعة واستمرارية تقاليدها وأحلافها التي صاغها الأجداد)<sup>4</sup>

1. مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر...، مرجع سابق، ج.1، ص75.

2. Reygasse (M), Op.cit, p33

3. Gsell(Ste), Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, t.6, p243

4. بشار خليف، شعائر الموت ومعتقداته في المشرق العربي القديم،  
(/mythology1.htm) www.maaber.org

# الحكمة



## الخاتمة

إن البحث هو محاولة للتعريف بالمعالم الجزرية الموجودة بالمنطقة وضمها إلى الكثير من المعالم المماثلة و المهملة بسبب الجهل بطبيعتها وغموضها ومن خلال سير هذا البحث فقد لفتنا الانتباه للكثير من المهتمين بالثقافة إلى ضرورة المحافظة عليها، و حمايتها من العبث.

كما أننا سلمنا تقارير عن أهمية هذه المعالم، لكل السلطات خصوصا الأمنية منها حتى يتسنى لهم حمايتها، هذا على المستوى المادي للبحث.

كما أننا نعتقد أننا نسجل منطقة جديدة ضمن مناطق البحوث باكتشافنا لمقبرة الكحل بتميز معالمها الجزرية كما مرّ معنا بالبحث، إضافة إلى معالم غزالة المتميزة والشبيهة بجذوة الحصان، مع تسجيلنا لمعالم منطقة الشريعة وخصوصا تواجد المقبرة الإسلامية فوق معالم جنازية كثيرة تستحق الدراسة كمعالم أثرية خاصة.

هذا إضافة إلى نقلنا لصورة لوحة نادرة مكتشفة ضمن ألواح فنية على الصخر تشكل في مجموعها تابوتا بأحد الجدد بـ "القور الخرقى".

كما أنني أعتز كثيرا بالسهام التي و جدتها أثناء جولاتي الكثيرة ضمن الكثير من الصناعات

الحجرية التي جمعتها

أما من الناحية المعرفية:

لقد حاولنا أن نجد موقع الجدد بالمغرب العربي ضمن دائرة الانتشار والبحث عن مركزه إلا أن الأدوات التي نملكها لا تؤهلنا لهذا البحث لذلك نعتبر ومن خلال رأي الباحثين أن الجدد أو الجنوات هي مركز الانتشار الذي من خلاله تفرعت كل المعالم الجزرية المعروفة كقبر الرومية

(الضريح الموريطاني)، المدغاسن، صومعة الخروب، ضريح سيفا والاحدار بمنطقة تيارت، حتى الأهرامات المصرية والأهرامات البجراوية بالسودان، فكل هذه عبارة عن قبور ملكية مقابل القبور البسيطة التي كانت محل بحثنا. ويبقى البحث عن ما تمثله هذه المدافن لكل حضارة من الحضارات هو الخيط الرفيع الذي يوحد الفكر البشري ويؤسس لحضارة مهيمنة تركت تأثيراتها في الكثير من بقاع العالم على تباعد مراكزها.

وعلى كثرة هذه المعالم الجذرية فإنها تعتبر قليلة نسبيا على ما يمكن تخيله من أناس عاصروها، لذلك ومع وجود الجدر الموجه للدفن الجماعي إلا أننا نتساءل عن إمكانية وجود نوع آخر من الدفن تختص به طبقة أخرى في نفس العصر، مما يثير الكثير من التساؤل لتبقى أسرار هذه الحضارة تحتاج الكثير من البحث والتدقيق.

### ومن ناحية أخرى:

نسجل البعد الوظيفي الجلي للأسطورة في موضوعنا هذا، حيث أنه ولأجل إستغلال هذه الجدر والإجابة عن التساؤلات التي يمكن أن يطرحها تواجدها المكثف والجلي، تم إلحاقها بأبعاد أسطورية تخرجها عن كونها مدافن تستحق الإحترام، فعمال المقالع لم يجرؤوا عليها إلا باعتبارها مساكن لأناس (جهال) كما أن إتخاذها مرايض للغنم لا يمكن أن يحدث من أناس يدركون كنهها مدافنا وقبوراً.

إضافة إلى محاولة تسفيه أناس بعينهم ( بنوعامر) لأجل توازنات مصلحة هدفها السيطرة على الأرض و التحكم في الجبايات من خلال ما مر معنا مع خروج بني عامر من المنطقة ليتفرد بها أولاد سيد الشيخ.

كما أننا حاولنا من خلال هذا البحث أن نربط بين أصحاب هذه المعالم وأصحاب الرسم الصخري (Peintre rupestre) من خلال اللوحة المكتشفة بـ "القور الخرقى" و الرسم المنقول بهذه الرسالة بـ "السعدانة"، حتى إذا ما توثقت الصلة فإننا سنربط بين النحت الصخري (Gravures Rupestres) وبين أصحاب هذه المعالم الجزئية في علاقة متعددة...

وقد حاولت في الفصل الثالث وضع صلة بين أصحاب هذه المعالم وبين تقاليدنا المعاصرة، فهناك الكثير من العناصر الثقافية المشتركة، خصوصا ما أورده ماسو عن الفخاريات والشقوف فوق القبور الحالية، إضافة إلى ما رأيناه من إلحاق الموتى الرضع بلباسهم ورضاعهم، والتشابه الكبير بين المعالم الجزئية الشبيهة بجذوة الحصان و المقامات البسيطة، المشكلة للحويطات، كما أننا نضيف إلى ذلك المقامات المنتشرة في كل مكان مخلدة مآثر ثورة التحرير المباركة، لنضع العلاقة بين الذاكرة والأشياء في صورة ترقى إلى العالمية، غير أن لها الأثر الكبير في ثقافتنا، فالحجارة، والمغارات والعيون والأشجار، كلها مسكونة بالقداسة في ثقافتنا الشعبية.

كل هذا إلا أن هذه الرابطة لم تكن وثيقة إلى درجة كبيرة، مما يجعلنا ندرج ثقافتنا الحالية ضمن ثقافة كونية تشترك فيها كل الحضارات بما فيها حضارة أصحاب الجدر، مع ملاحظة أن الارتباطات لم تكن مباشرة من تلك الحضارة، بل الأمر يتعلق بثقافات أخرى شبيهة.

ولعل البحث عن إنتشار عناصر حضارية ما من ثقافة إلى أخرى، يتطلب منا وضع محور

زمني دقيق يتبع ظاهرة الانتشار وإلحاقها بمركز الانتشار الأقرب.

ومنه فإن العناصر الثقافية الحالية يمكن إرجاعها للحضارة السامية بصفة عامة، وللكتير من العادات العربية القديمة، مع بقاء ذلك الخيط الرفيع الذي رأيناه خلال البحث مع حضارة أصحاب الجدر.

قائمة المصادر

والمراجع



قائمة المصادر والمراجعالمصادر والمراجع باللغة العربية

1. القرآن الكريم
2. أبو داود السُّجِسْتَانِي، سنن أبي داود، دار إحياء التراث العربي، ط(بدون)، بيروت تاريخ(بدون).
3. الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت 1983.
4. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، البابي الحلبي، مصر(دون)،
5. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار ابن حزم، ط1، بيروت 2003.
6. العظيم آبادي (أبو الطيب)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت 1993.
7. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت 1986.
8. إبراهيم الحيدري، إثنولوجيا الفنون التقليدية، دار الحوار، ط1، سورية 1984.
9. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت 1998.
10. أندريه لوروا غوران، أديان ما قبل التاريخ، تر: د.سعاد حرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، ط2، القاهرة 1997.
11. بوساحة أحمد، حقيقة الموت في نظر الديانات، الانتشار العربي، ط1، بيروت 2008.
12. خزعل الماجدي، الدين المصري، دار الشروق، ط1، عمان الأردن 1999.
13. خليفة بن عمارة، لمحة عن الجنوب الغربي الجزائري الأعلى من الأصول إلى ظهور الإسلام، مطبعة الغرب، ط1، سنة (بدون)، الجزائر.

14. رابح لحسن، أضرحة الملوك النوميديين والمور، ط1، الجزائر، دار هومة 2004.
15. رالف لنتون، شجرة الحضارة، موفم للنشر، الجزائر. 1999.
16. طواهرية عبد الله، جامع التصنيف في أحوال حاضرة بني ونيف، دار الهدى، ط1، عين مليلة 2006.
17. طه باقر، ملحمة كلكامش، موفم للنشر، الجزائر 1995.
18. ليونال بالو، الجزائر في ما قبل التاريخ، تر. محمد الصغير غانم، ط (بدون) دار الهدى، عين مليلة (الجزائر) 2005.
19. مبارك بن محمد الميللي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح: محمد الميللي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط (دون)، الجزائر، تاريخ (دون).
20. صموئيل هنري هوك، منعطف المخيلة البشرية بحث في الأساطير، تر: صبحي حديدي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية 2004.
21. عبد الجميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياتي - حياته وأثاره -، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974.
22. عبد الرحمن بوزيدة (منسق)، قاموس الأساطير الجزائرية، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية CRASC، ط (دون)، وهران 2005.
23. عطا الحديثي، هناء عبد الحق، القباب المخروطية في العراق، وزارة الاعلام، بغداد 1974.
24. فاضل عبد الواحد، د. عامر سليمان، عادات وتقاليد الشعوب القديمة، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد 1979.
25. قاستون باشلار، جماليات المكان، تر. غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط5، بيروت 2000.
26. سونك، الديوان المغربي في أقوال عرب إفريقية والمغرب، موفم للنشر، ط (بدون)، الجزائر 1994.

- الأسطورة في الأدب الشعبي الجزائري، مخطوط أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الأدب الشعبي، إعداد الطالب: مصطفى أوشاطر، إشراف. أ.د. عكاشة شايف، السنة الجامعية 2002-2003، مكتبة الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان.
- مجموعة السكة، المتحف الوطني سطيف، وزارة الثقافة، 1998.
- الأوابد الميقاليتية ما قبل إسلامية، ماسيمو باستروشي، تر: أسامة عبد الرحمن النور، أركماني مجلة الآثار والانثروبولوجيا السودانية، ديسمبر 2006 ، [www.arcamani.org](http://www.arcamani.org)
- فرانسيس جيوز، عادات الدفن في واد النيل الأعلى: لمحة عامة، ترجمة د. أسامة عبد الرحمن النور، [www.arcamani.org](http://www.arcamani.org)
- بشار خليف، شعائر الموت ومعتقداته في المشرق العربي القديم، [www.maaber.org \(/mythology1.htm\)](http://www.maaber.org/mythology1.htm)

1. [www.sahranéolithique/Tumulus.com](http://www.sahranéolithique/Tumulus.com)
2. [www.Encarta2006.fr](http://www.Encarta2006.fr)
3. [www.irid.fr/bani](http://www.irid.fr/bani)
4. [www.arcamani.org](http://www.arcamani.org)
5. [www.maaber.org](http://www.maaber.org)

### - المصادر والمراجع باللغة الأجنبية

1. Le Petit Larousse Paris 1998.
2. CAMPS Gabriel, Aux origines de la Bèrbèrie rites et monuments funéraires protohistoriques de l'Afrique du Nord, Arts et métiers graphiques, Paris.
3. CAMPS Gabriel, les dolmens de Beni Messous, LIBYCA, Tome. I. Juillet 1953.
4. Colonel .C. Trumelet, l'Algérie légendaire en pèlerinage çà et là aux tombeaux des principaux thaumaturge de l'Islam (Tell et Sahara), ADOLPHE JOURDAN LIBRAIRE-ÉDITEUR, Alger 1892.

5. Edgar Morin, L'homme et la mort, Édition du Seuil, 2<sup>e</sup> Édition.1970.
6. EDMOND DOUTTÉ, La société Musulmane du Maghrib, Magie et religion dans l'Afrique du Nord, ADOLPHE JOURDAN LIBRAIRE-ÉDITEUR, Alger 1909.
7. Ernest MERCIER, Histoire de l'Afrique Septentrionale (BERBERIE) depuis les temps les plus reculés jusque la conquête Française (1830), tome premier, ERNEST LEROUX ÉDITEUR, Paris1888.
8. FLAMANDE (G.B.M) 1921. les pierres écrites (HADJRET MAKTOUBA), Gravures et inscriptions rupestres du Nord Africain, Paris, Masson.
9. FLAMANDE (G.B.M), De l'Oranie au Gourara (note de voyage), Augustin CHALLAMEL Editeur, Paris1898.
10. FLAMANDE (G.B.M), de l'Oranie au Gourara, (note de voyage), Augustin CHALLAMEL, Paris1898.
11. Hureiki Jacques, LES MEDECINES TRADITIONNELLES TOUAREGUES.
12. Jean Claude Musso, dépôts rituels des sanctuaires ruraux de la Grande Kabylie, C.R.A.P.E , Alger, 1971.
13. KHALIFA Ben Amara, La saga des Boubekria (1) (ancêtre de Ouled Sidi Cheikh), Histoire et hagiographie du Sud Ouest Algérienne (1) (14<sup>e</sup> , 15<sup>e</sup> et 16<sup>e</sup> Siècles), Librairie DJOUDI MESSAOUD, Oran2002.
14. Louis RINN, MARABOUTS ET KHOUANS ÉTUDE SUR L'ISLAM EN ALGÉRIE, ADOLPHE JOURDAN, LIBRAIRE-ÉDITEUR, ALGER1884.
15. Philippe Ariés, L'homme devant la mort (1-le temps des gisants), Edition Seuil, Paris 1977.
16. Reygasse Maurice, Monuments funéraires préislamique de l'Afrique du Nord, Paris, 1950.

17. PELKIN, les aborigènes Australiens, N.R.F Gallimard Paris 1968.
  18. Freud Sigmund, Totem et tabou, pbp, Paris 1981.
  19. KADRI FATMA KADRA, Les Djeddars, ENAL, Alger, 1983.
  20. STÉPHANE GSELL, Atlas archéologique de l'Algérie, Alger, 1911, feuille n° 24, Boghar, n° 160-165.
  21. STÉPHANE GSELL, Les monuments antiques de l'Algérie, Paris 1901.
  22. STÉPHANE GSELL, histoire ancienne de l'Afrique du Nord les royaumes indigènes vie matérielle, intellectuelle et morale, TOME VI, LIBRAIRIE HACHETTE, Paris 1927.
- Roubert F.E 1967, « nouvelles gravures rupestres du sud de l'Atlas Saharienne (Station du Méandre près de Brézina) dans : Lybica XV.
  - René BASSET, la légende de BENT EL KHASS, Revue Africaine n° 49 de 1905, OPU. Alger, 1985.